وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

العلاقـــــــــات التونسيـة الفرنسيـة

(1830-1881م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

أمال سويسي

إشراف:

الأستاذ الدكتور الشافعي درويش

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
طاس إبراهيم	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	رئيسا
الدهمة بكار	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	عضو مناقش
الشافعي درويش	دكتور	جامعة غرداية	المشرف

الموسم الجامعي:

1439 هـ - 1440هـ/2018م -2019م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

العلاقـــــــــات التونسيـة الفرنسيـة

(1830-1881م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

أمال سويسي

إشراف:

الأستاذ الدكتور الشافعي درويش

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
طاس إبراهيم	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	رئيسا
الدهمة بكار	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	عضو مناقش
الشافعي درويش	دكتور	جامعة غرداية	المشرف

الموسم الجامعي:

1439 هـ - 1440هـ/2018م -2019م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

قال الله تعالى: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى اَلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّيْ لِمَاْ أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ}

القصص الآية:24

إهداء

إلى من أعطى بإيثار وأدب وإكبار

والدي رحمة الله عليه

إلى قلب يشع حبا وأمنا وإيمانا

أمي حفظها الله

إلى من قاسموني عناء المسير

إخوتي، أخواتي

شكر و تقدير

أتقدم في افتتاح هذه المذكرة بخالص الشكر والامتنان إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في إنجازها وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل شافعي درويش لما تجشمه من عناء في متابعة الإشراف على هذه المذكرة حتى وصلت لما هي عليه جزاه الله خيرا موصولا

كما يطيب لي في هذا المقام ان أتوجه بجزيل الشكر إلى أساتذتي الأجلاء الذين تكرموا بقبول مناقشة المذكرة و تقييمها بتقديم الإرشاد و النصح

واشكر جميع أساتذتي الأفاضل على امتداد المسير كله جزاهم الله عزو جل عنا خيرا طيبا مباركا .

.

الطالبة سويسي آمال

قائمة المختصرات:

1-بالعربية:

الكلمة	المختصر
دون طبعة	د.ط
دون تاريخ	د.ت
بدون دار النشر	ب.د.ن
مجلد	مج
تحقيق	تح
صفحة	ص
دون سنة	د.س
الجزء	ج
العدد	ع
تعريب	تع
صفحات عديدة متلاحقة	ص ص

2-بالأجنبية:

ED	Editions
P	Page
Page contenues	pp

مقدمة

مقدمة:

ترجع العلاقات التونسية الفرنسية إلى عهود بعيدة تعود لسنة **1270م**، عندما قاد ملك فرنسا "**لويس التاسع**" حملة عسكرية للسيطرة عليها، ولكن محاولته باءت بالفشل، حيث تمكنت فرنسا من فرض معاهدة مع تونس مضمونها الأساس الحصول على امتيازات في الأراضي التونسية، فقد أولت فرنسا اهتماما بتونس خاصة بعدما استحوذت على الجزائر، فأخذت تأتي بالذرائع لاحتلال تونس.

والسيطرة عليها، ومنها الحصول على الشمال الإفريقي ككل، ثم الاستيلاء على قارة إفريقيا قاطبة والحصول على خيرات البلاد والعباد، فلطالما كانت تونس محط أنظار القوى الإمبريالية لكل في حوض البحر الأبيض المتوسط.

سعت فرنسا إلى تطوير علاقاتها مع الإيالات المغاربية عامة، والإيالة التونسية بشكل خاص وذلك في إطار يخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، ونتيجة لذلك أقامت العديد من المعاهدات وخاصة التجارية منها، كما رمت للحصول على امتيازات من أجل ضمان مصالحها ،وجعلها أكثر قوة وتفوقا على باقي الدول الأوروبية، لأن تونس كانت تشكل محور اهتمام العديد من القوى الاستعمارية الأخرى، ولكن السياسة الخارجية الاستعمارية لفرنسا سمحت لها بأن تتفرد في الأخير باحتلال تونس تحت ظل الحماية، وكان ذلك سنة **1881**م.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

وقد اخترت الفترة الممتدة (**1830–1881م**) كإطار زماني لموضوع دراستي هذه، وذلك لأهمية هذه الفترة في تاريخ العلاقات بين دول المغرب العربي بالدول الأوروبية بوجه عام، والعلاقات بين تونس وفرنسا على وجه الخصوص، حيث تمثل سنة **1830**م احتلال فرنسا للجزائر، وبداية توجها لمد نفوذها إلى تونس، وكان لها ذلك سنة **1881**متاريخ الدخول الفرنسي إلى الأراضي التونسية وانتصاب الحماية عليها. أما الإطار المكاني فهو دولة تونس ودولة فرنسا، فهما المكان والميدان

الذي جرت فيهما الأحداث والوقائع التي نسجت شبكة من العلاقات المختلفة والمتباينة بين الطرفين.

أسباب اختيار الموضوع:

تعددت الأسباب وراء اختيار الموضوع فمنها ما كانت ذاتية، ومنها ما كانت موضوعية.

أولا: الأسباب الذاتية

وتتمثل في:

- رغبتي الشديدة بدراسة تاريخ تونس، إضافة إلى التشجيع والمساندة من طرف الأستاذ المشرف على قبوله الإشراف على هذا الموضوع.
- تسليط الضوء على طبيعة العلاقات التونسية –الفرنسية ومعرفة المتضرر من المستفيد.
- معرفة المراحل والأحداث السياسية التي شهدتها تونس
- تحقيق الفائدة وتطوير الملكات البحثية تحقيقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "**إنما العلم بالتعلم.**"
- ميل واهتمام ذاتي نحو موضوع الدراسة وإرضاء للفضول العلمي في محاولة إدراك واقع العلاقات التونسية الفرنسية وذلك بتتبع الأوضاع السائدة في كلا البلدين، والتي من خلالها وصلت العلاقات بينهما إلى صدى بعيد وهو إعلان الحماية الفرنسية على تونس عام **1881م**.

ثانيا: الأسباب الموضوعية

فبالرغم من أن معظم تاريخ تونس نال حظا وافرا من الدراسة من قبل المؤلفين والباحثين، غير أن هذا الموضوع بالذات لم يستوف حقه من البحث، مما شكل لدي مجموعة من الدوافع جعلتني أغوص وأتعمق في هذا الموضوع لعل من أهمها:

- السعي لإبراز الأوضاع السائدة في تونس ما بين (**1830–1881**م)، والتي مهدت للسماح للاستعمار الفرنسي الدخيل في التواجد على أراضيها، وخاصة أنها عاشت المصير نفسه الذي

عايشه الجزائريون، وبذلك كان الاستيلاء على تونس نتيجة حتمية بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر.

- محاولة الكشف عن أهم العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتسلل التاريخي لهذه العلاقات بين فرنسا وتونس وكيف واجه الشعب التونسي سياسة الاضطهاد القهري التي ارتكبته فرنسا في حق الإيالة التونسية.
- محاولة التحليل الأحداث بموضوعية باعتبار أن معظم المؤلفات تلمس فيها ميولا واضحا نحو دولة دون أخرى في دراستهم لموضوع العلاقات بصفة عامة.

إشكالية الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع انطلقنا من إشكالية رئيسية تمثلت في:

إلى أيّ مدى ساهمت الظّروف الدّاخلية والخارجيّة في توجيه وإرساء العلاقات بين الطرفين بالشكل الذي عرفته في الفترة الممتدة ما بين (1830-1881م)؟

وللبحث في هذا الموضوع بشكل شامل ومفصل تم طرح التساؤلات الفرعية الآتية:

بم تميزت العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا في الفترة الممتدة ما بين(**1830-1881م**)؟

- كيف ساهم بايات تونس في التأثير على مسار العلاقات؟
- لماذا اعتمدت فرنسا نظام الحماية على تونس بدل الاستعمار المباشر؟
- فيم تمثلت ردود الفعل الداخلية والخارجية على التواجد الفرنسي في الأراضي التونسية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمت خطّة البحث إلى:

مقدمة؛ وثلاثة فصول؛ وخاتمة، فكانت الخطة على النحو التالي:

الفصل الأول عنوانه: الأوضاع العامة في تونس وفرنسا ما بين (1830-1881م)، وقد قسمته إلى مبحثين على التولي: المبحث الأول: تناولت فيه الأوضاع التي ميزت كل من تونس وفرنسا خلال هذه الفترة، حيث تتبعنا كل باي في تونس والأوضاع السائدة في عهده، أما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن أوضاع فرنسا خلال هذه الفترة، والحروب التي عانت منها، وكيف حققت مبتغاها واحتلت الجزائر، وكيف سعت جاهدة للحصول على تونس.

أما الفصل الثاني عنوانه: العلاقات التونسية الفرنسية من(1830-1881م)، وقد اخترت هذا العنوان لأنه يبرز لنا طبيعة العلاقة بين الطرفين، وقد قسمت هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث، حسب تغير وتيرة العلاقة بين تونس، وفرنسا:

المبحث الأول تناولت فيه العلاقات السياسية بين تونس وفرنسا وقد تطرقت فيه إلى مميزات هذه المرحلة من العلاقات بين الطرفين.

المبحث الثاني تناولت فيه العلاقات الاقتصادية بين تونس وفرنسا، وتم الحديث فيه عن العلاقات الاقتصادية بين البلدين، خاصة أن الجانب الاقتصادي هو الذي يعطي مكانة لأية دولة ويعطيها هيبة بين الدول الأخرى، فالظروف الصعبة السائدة في فرنسا جعلتها توجه أنظارها نحو تونس للبحث عن المواد الأولية وغيرها.

المبحث الثالث فتطرقت فيه إلى العلاقات العسكرية بين تونس وفرنسا، وفي هذا المبحث تم تسليط الضوء على كل ما يتعلق بالجانب العسكري والاستراتيجيات العسكرية التي كانت فرنسا تعتمدها للاستيلاء على أي دولة تريد وخاصة تونس، وكذلك الاستراتيجيات العسكرية التي انتهجتها تونس لمقاومة هذا الاحتلال غير المباشر باسم الحماية.

أما الفصل الثالث عنوانه: الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل المحلية والدولية، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، وفي كل مبحث ثلاثة عناصر، أما المبحث الأول

فتحدثت فيه عن الحماية الفرنسية على تونس وتوقيع معاهدة الباردو 1881م، وأهم الأسباب التي جعلت فرنسا تفرض حمايتها على تونس سنة 1881م.

المبحث الثاني فتناولت فيه ردود الفعل الأولية المحلية (الداخلية)، ذكرنا فيه استراتيجية المقاومة التونسية في مواجهة الاستدمار الفرنسي والتي تمثلت في: المقاومة في أشكال وأساليب الشعب التونسي، أما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن ردود الفعل الدولية (الخارجية)، التي تمثلت في دراسة ردود فعل الدولة العثمانية ودول المغرب العربي، بالإضافة إلى الدول الأوروبية، فمنهم من كان معارضا ومن هم من كان مؤيدا، وأحيانا أخرى نجد المحايد تماما.

أهمية الموضوع وأهدافه:

يعتبر موضوع العلاقات التونسية الفرنسية ما بين(**1830-1881م**)، من الموضوعات التاريخية الهامة، حيث يبين لنا طبيعة العلاقة التي تربط بين الدولتين تونس وفرنسا من جهة، ومن جهة أخرى يبرز مدى التأثر التونسي بالحضارة الأوروبية بشكل عام، والحضارة الفرنسية بشكل خاص، علما أن التأثير هو العامل الأساس في بناء العلاقة بين البلدين، والذي من خلاله تتضح لنا النوايا الخفية من وراء فرض الحماية الفرنسية على تونس، التي تعتبر وجها آخر من أوجه الاستعمار غير المباشر.

الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع:

تناول العديد والباحثين الموضوع أكاديميا ومن أهم هذه الدراسات نذكر:

جمال الدين ساسي: **العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الاحتلال (1830-1881م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، شعبة التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2015-2016.

- جميلة غريزي، لامية بن عمر: **قضايا تونس وتضامن الجزائريين معها من خلال جريدة المنار الجزائرية (1951-1954)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة 2016-2017.
- نور الهدى قسمية: **الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولية (1881-1883م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر أكاديمي، شعبة تاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ،2017-2018م.
- ياسين صنديد: **الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا(1117-1197هـ/1705-1782م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، شعبة تاريخ، تخصص تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2012-2013م.
- الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الجري/السادس عشر الميلادي**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، قسم التاريخ، تخصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية،2010-2011م.
- مليكة الشيخ: **العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر (18م)**،قسم التاريخ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2011-2012م.

-خرنق مبروكة: **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605-1705م) سياسيا وتجاريا**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، قسم التاريخ، تخصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2011-2012م.

المنهج المتبع:

إن طبيعة موضوع العلاقات التونسية الفرنسية ما بين **(1830-1881م)**، يلزم علينا اعتماد المنهج التاريخي والوصفي، وذلك لعرض الأحداث وتحري حقائقها، إضافة إلى الأسلوب التحليلي لتحليل تلك المؤشرات، أو بعبارة أصح تلك المعطيات والحقائق التاريخية، لمعرفة النوايا الحقيقية والأهداف الخفية لهذه الوقائع وراء تلك العلاقات.

مصادر ومراجع البحث:

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

أ)–المصادر:

1–اتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف، حيث استفدنا منه في موضوع إصلاحات البايات التونسيين وما نتج عنها من أزمات مالية، وتأثر تونس في علاقاتها مع الدول الخارجية، إضافة إلى تأزم أوضاعها الداخلية.

2–صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار لمؤلفه **محمد بيرم التونسي،** حيث تحدث في كتابه عن البايات والوزراء وأعمالهم وغيرها من المواضيع.

3–صفحات من تاريخ تونس لمؤلفه **محمد بن الخوجة،** تحقيق **حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحي.**

4–أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، التونسي خير الدين، تقديم محمد الحداد.

ب)–المراجع:

1–انتصاب الحماية الفرنسية على تونس لمؤلفه **علي محجوبي،** ويعتبر هذا المرجع من أهم المراجع في موضوعنا، حيث يحتوي على المقاومة التونسية بالتفصيل.

2–تاريخ تونس لمؤلفه **محمد الهادي الشريف.**

3–عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، وهو مرجع هام في تاريخ تونس

4-Cambon Henri: **Histoire de la Régence de Tunisienne**.

5-Rounard de card **: la Turquie et le protectorat français en tunisice, 1881-1913**

صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعقبات التي تعرقل الباحث أثناء إنجازه لبحثه، ولعل أهم الصعوبات التي اعترضتنا وأرقتنا في ذلك هو التفكير في الموضوع في حد ذاته، ومحاولة إنجازه في وقته المحدد له.

الفصل الأول: الأوضاع العامة في تونس وفرنسا من 1830م إلى 1881

المبحث الأول: الأوضاع العامة في تونس

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في فرنسا

بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، وجهت أنظارها نحو تونس التي رأت فيها امتدادا طبيعيا للجزائر من الجهة الشرقية، في وقت كانت تونس تعاني حالة الضعف العام بين الفترة والأخرى، وذلك بسبب التدخلات الأجنبية.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في تونس من (1830–1881م)

1–الأوضاع في عهد حسين باي الثاني(1824–1835م):

لقد شهدت تونس العديد من الأحداث والوقائع حيث كان يحكم تونس الأسرة الحسينية التي تأسست على يد "حسين بن علي"[1]، مع العلم أنه ورغم تبعية الباي للباب العالي إلا أنه كان مستقلا فهو يجمع السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وبإمكانه النظر في مختلف القضايا العدلية.

و تعتبر كل القرارات و المراسيم التي تصدر عنه قانونا نافذا المفعول، و لكن السلطة الفعلية كانت قبيل الحماية بين يدي الوزير الأكبر الذي يباشر تسيير الشؤون المالية و الخارجية للإيالة ، يساعده في الإدارة العامة للبلاد وزير للداخلية يسمى وزير القلم و المستشارون يراسون مختلف الأقسام، إلى جانب وزير الحرب ووزير البحرية اللذان يرمزان إلى التقاليد العسكرية للأسرة الحسينية، فقد كان الوزير الأكبر على التوالي مكلفا بحراسة الباي[2] فقائدا للوطن القبلي ثم وزيرا للداخلية، وعديم التكوين مثل سيده محمد الصادق و غير مؤهل لتسيير شؤون الدولة ، وكان محمد الصادق بدوره سنة 1881م، ضعيفا في إدارة أمور الدولة مما أدى به إلى إهمال شؤون العامة وعدم الاكتراث بها، حيث

[1] **حسين بن علي (1705م-1735م):** مؤسس الأسرة الحسينية، وقائدا على فرقة الخيالة في الجيش العثماني، بعد اضطراب الأوضاع السياسية في تونس، استولى على الحكم على حساب المراديين، ثم أخذ يستقل بالأمر حتى أصبحت دولته كيانا قائما بذاته. ينظر: محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، تح حمادي الساحلي، لجيلالي بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986م، ص57.

[2] **الباي:** هو لقب معرب من لفظ بك في التركية ومعناه السيد العظيم، وهو من القاب رؤساء الجيش وأبناء الباشوات، كما أن لفظ باي معناه أمير في اللغة الفارسية وأصل دخول هذا الفظ في الاستعمال بتونس كان إثر دخول الإيالة التونسية في طاعة السلطان سليم خان الثاني سنة 1573م. ينظر إلى: محمد بن الخوجة: المرجع السابق، ص57.

كان الوزير الأكبر مصطفى بن إسماعيل شديد التأثير عليه مستغلا ضعف الباي مصطفى بن إسماعيل استطاع الارتقاء بسرعة مذهلة فتسلم الوظيفة العمومية ليصبح الوزير الأكبر عام 1878م[1]، وعمره آنذاك خمسة وعشرين سنة بعد أن تقلد العديد من المناصب.[2] يدل تقرير دوبنيسك[3] على أن الباي حسين (1824م-1835م) قبل المعاهدة التي اقترحتها فرنسا عليه وأكثر من هذا وعد بمساعدة الحملة الفرنسية ضد الجزائر وذلك بإرسال بعض مواد التموين لها، و قد تأكد موقف الباي المتحيز للفرنسيين حيث أسرع بإرسال وفد لتهنئة المارشال بورمون بانتصاره على جيرانه الجزائريين ويبدو أنه كان متلهفا على هذه التهنئة، فوصل الوفد التونسي قبل أن يُتم المارشال انتصاره في 5 يوليو1830م مع العلم أن المعاهدة التي عقدت مع الباي يوم 8 أغسطس تنص على تعهده بنبذ وسائل القرصنة إلى الأبد بما في ذلك أخذ الإتاوات[4]،وعليه حماية السفن الأوروبية في سواحل تونس، وكذلك يتعهد بإلغاء رقّ المسيحيين ويعوض بعد تحريرهم و عليه أن يطبق مبادئ أسرى الحرب المتعارف عليها دوليا إذا وقعت حرب في المستقبل، وتنص المعاهدة على حق الدول الأوروبية في إنشاء القنصليات بأي مكان في تونس وكذلك حرية التجارة بين الأجانب والتونسيين دون تدخل الحكومة بفرض أي احتكار، ويمكن التساؤل عن الأسباب التي دعت الباي إلى اتخاذ هذا الموقف المعادي لمصلحة العالم

---

[1] علي محجوبي: **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، تع عمر بن ضو، حليمة قرقوري، ط1، سراس للنشر، تونس، 1986م، ص8.

[2] علي محجوبي: **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، المرجع السابق، ص9.

[3] **دوبنيسك**: هو مبعوث البو لينياك وهو الترجمان الذي وصل إلى تونس قبيل الحملة في أبريل 1830م.ينظر: صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، ص161.

[4] **الإتاوات**: وهي المقابل الذي يدفعه صاحب العقار أو الثروة بسبب ارتفاع قيمة ملكه المترتب عن قيام الدولة بمشاريع عامة فتعبد طريق، أو إقامة سد يؤثر على قيمة الأراضي المجاورة مما يقتضي أن يساهم المستفيد. ينظر إلى:علي محجوبي: **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**،ص9.

الإسلامي عامة وشمال إفريقيا خاصة، فهل يعود ذلك إلى حقد الباي حسين على دايات الجزائر لأنهم فرضوا على تونس دفع الجزية؟.[1]

[1] صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، ط6مزيدة ومنقحة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،1993م، ص 161، ص162.

2-الأوضاع في عهد مصطفى باي(1835-1837م):

كان مصطفى باي هو الذي يحكم تونس منذ سنة 1835،وعند ارتقائه السلطة طلب كالعادة فرمان التنصيب من الباب العلي فحذرته فرنسا من نوايا الاستانة خاصة وأن العثمانيين كانوا قد أرسلوا حملة في هذا العام إلى طرابلس وأسقطوا حكم الأسرة القرمنلية[1]، ولم يكن في نية حينها طلب فرمان التنصيب سوى احترام التقاليد ولثقته بأن هذا الفرمان يكسبه نفوذا، ولكن الحكومة الفرنسية لم تقتنع بموقف الباي وأرسلت مظاهرة حربية أمام تونس في يونيو 1836 والتي كانت كرد فعل على احتلال العثمانيين لطرابلس، كانت السياسة الفرنسية في ذلك الوقت تقوم على أساس إبقاء تونس باعتبارها جارة ضعيفة للجزائر ومع أنها اطمأنت أن العثمانيين لن يتجاوزوا طرابلس، إلا أن القلق ظل يساورهم طالما أن أحمد باي وحاميته التركية ماتزال صامدة في قسنطينة وقد فرحت الحامية بدخول العثمانيين إلى طرابلس[2].جاء فيها أنها لا تستطيع أن تقف جامدة أمام دماء المسلمين التي تسيل هنا وهناك في شمال إفريقية، وفي سنة 1837 عاودت الدولة العثمانية إرسال أسطولها الى طرابلس وعرضت مشروعا فريدا من نوعه وهو أن يتولى باي تونس حكم طرابلس إلا أن هذا الأخير كان يريد تجنب غضب فرنسا أكثر من إرضاء الباب العالي، لذلك اعتذر من عدم قبول هذا الاقتراح بحجة كثرة النفقات وقلة الموارد الولاية. وفي هذه الأثناء عاودت فرنسا إرسال حملة بحرية أخرى في ديسمبر 1837 منافسة بذلك الدولة العثمانية، حيث التقى قائدها بالباي وحاول أخذ تصريح منه يعلن عن رغبته في الاستقلال عن الدولة العثمانية أو وضع بلاده تحت حماية فرنسا إلا أن الباي ظل يذكر السلطان بالتعظيم وفي تلك الأثناء قتل شاكر أفندي صاحب الطابع حامل الأختام ومستشار الباي الأول.[3]

---

[1] **الأسرة القرمنلية:** هي أسرة تركية الأصل من مدينة قرمان الواقعة جنوب الأناضول في آسيا الصغرى، طرابلس الغرب، فاستقر مصطفى باشا الجد الأكبر في منطقة المنشية، ومارس التجارة وتزوج من فتاة طرابلسية الأصل المدينة. ينظر إلى: محمود علي عامر، محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث: المغرب الأقصى، ليبية**، منشورات جامعة دمشق ،1999،2000،ص4.

[2] صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**، المرجع السابق، ص163

[3] صلاح العقاد: المرجع السابق، ص164، ص165.

3-الأوضاع في عهد أحمد باي (1837- 1855م):

أحمد باي حكم البلاد من **(1837- 1855م)** وعلى خلاف سلفه كان يعتقد أن تأكيد شخصيته يتمثل في إضعاف حالة التبعية للاستانة حيث عرف الفرنسيون هذه النزعة في نفس الباي فأخذوا يراضون كبريائه، فيقدم قنصلهم أوراق اعتماده له مباشرة بينما كانت الدول الأوروبية الأخرى وخاصة بريطانيا تعتبر قنصليتها بتونس تابعة لسفارتها بالاستانة واتضح لأحمد باي الفرق في معاملة الإنجليز و الفرنسيين له حيث قرر زيارة أوروبا سنة 1846م، فقد استقبله الملك فيليب في باريس بنفس مظاهر الحفاوة التي يستقبل بها الملوك المستقلون، أما الحكومة البريطانية فقد اشترطت قبل زيارته أن يقدمه السفير باعتبار أنه تابع للسيادة العثمانية العليا و لذلك عدل الباي عن زيارة إنجلترا.[1]

ومن مظاهر سياسة تعاون أحمد باي وفرنسا هي السماح بإنشاء كتدرائية في مواجهة مدينة تونس أي في المكان الذي قيل بأن لويس مات فيه أثناء الحرب الصليبية، والأهم من ذلك قرر الباي إدخال مظاهر الحضارة الحديثة إلى تونس، فمهد إليهم بإنشاء المدارس وتدريب الجيش، بيد أن أحمد باي مثل كثير من أقرانه الحكام لم يعرف كيف يستفيد من اقتباس المدنية الأوروبية، فكان اهتمامه بتغيير مكسبه حيث أقام مصنعا للذخيرة، و لكن الجيش لم يستفد من المدربين الأوروبيين الذين استقدمهم للتدريب على وسائل الحرب الحديثة، وليس معنى ذلك أن أحمد باي قطع صلته بإستانبول، فعندما وقعت حرب القرم أسهم ب 14 ألف جندي تونسي ليحاربوا تحت لواء الجيوش العثمانية، لكن يجب ملاحظة أن فرنسا كانت حليفا للباب العالي في هذه الحرب و عليه فإن إسهام تونس بهذا العدد قد حمّل ميزانيتها عبئا ثقيلا بين الأعباء الكبيرة الأخرى التي ترتبت على سياسة

[1] فرحان الخفاجي: (**السياسة الفرنسية حيال تونس 1881-1914**)، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، ع214، مج1، 2015، ص253.

التجديد، وإذا كان أحمد باي قد استطاع أن يتم هذه الأعمال دون الاستدانة من الخارج فإنه اضطر إلى زيادة الضرائب إلى حد أرهق معه السكان ارهاقا شديدا.[1]

4-الأوضاع في عهد محمد باي (1855-1859م):

محمد باي تدرع بأن التجديد يكلف الميزانية نفقات باهظة، ولكن لم يستطع توفير شيء يذكر لأن حرمه الذي كان يضم 1200امرأة والقصور الفاخرة التي اهتم بتشييدها كانت سببا آخر في الإسراف، ولم يكن متوقعا من محمد باي أن يكون صلبا أمام ضغط الدول الأوروبية، فمثل هذا الرجل المنهمك في ملذاته لا يمكن أن يكون من أنصار الحرية الدستورية، ومع ذلك صدر في عهده شبه دستور عرف بعهد الأمان، فلا شك أن الباي قد فعل ذلك استجابة لرغبة القناصل الأوروبيين. والمناسبة التي أحاطت بإصدار العهد تدل على هذه الحقيقة فقد حدث أن سب أحد اليهود مسلما في دينه فحكم عليه بالإعدام، فانزعجت الجالية الأوروبية من هذا الحكم ووصفوه بالتعصب وطالبوا بان تكون لهم ضمانات شخصية، فكان أن صدر القانون الأساسي في سبتمبر سنة 1857م وقد صيغ على نمط خط كلخانة القماش فهو يتعلق بضمان حريات الأفراد الأساسية.[2]

قانون عهد الأمان 1857:

قتل جندي من جنود الإيالة يهوديا كان تاجرا أخذ سلعته، وصل الأمر إلى الباي بشهادة أن يهوديا اسمه "باطو" وهو تاجر أيضا شتم مسلما وسب دينه، وبعد التأكد من الأمر نفذ فيه الآخر الحكم بالإعدام، فلما بلغ الأمر إلى يهود فرنسا استنكروا الأمر مما أدى إلى إرسال أسطول فرنسي به

[1] فرحان الخفاجي: مرجع سابق، ص254.

[2] فرحان الخفاجي: المرجع السابق، ص254.

سبع مائة مدفع نحو الإيالة التونسية للنظر في هذه القضية، ومنه كان سبب إصدار محمد باي (1855-1859) قانون عهد الأمان.[1]

5-الأوضاع في عهد محمد الصادق (1859-1882م)

وافق محمد الصادق على مبدأ قيام شبه دستور لتنظيم الحكم فصدرت وثيقة دستورية أكثر تفصيلا سنة 1861م و تنص على المواد الثلاث التالية:

المادة الأولى: تنص على الحريات الشخصية فتعلن المساواة أمام القانون والإدارة والضرائب[2] دون تمييز بين الأجناس والأديان، أما المادة الثانية: تنص على شروط الخدمة الوطنية، أما بخصوص المادة الثالثة فتنص على إنشاء مجلس استشاري للشؤون الإدارية يشترك فيه التونسيون والجالية الأجنبية، ولكنه لا يبين كيفية تكوين هذا المجلس ولذلك أخطأ بعض المؤرخون حين قرروا بأن دستور 1861م يقيم مجلسا نيابيا وينص على المسؤولية الوزارية. وقد خصصت المواد 9و10و11 لتأكيد حقوق الأجانب، كالنص على حرية التجارة وعدم احتكار الدولة التونسية لأي نوع من الأنواع منها، وحرية امتلاك العقارات والأراضي بداخل تونس.

إن الملابسات التي أحاطت بإصدار الدستور تدل أيضا على أن إرضاء الأجانب كان هو الدافع الأول للباي فقد كان يعلم أن الإمبراطور نابليون الثالث يهتم بنشر الحضارة الأوروبية وظواهرها في العالم الإسلامي، ورأى في إصدار الدستور فرصة يجوز بها إعجاب الإمبراطور ولذلك

[1] جمال الدين ساسي: **العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الاحتلال**، مذكرة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2016/2015، ص57.

[2] **الضرائب**: هو اقتطاع جبري تقوم به السلطة العامة على أموال الأفراد قصد توزيع ثقل الأعباء العامة فيما بينهم بإنصاف. ينظر: لجناف عبد الرزاق: م**حاضرات في مقياس جباية المؤسسة**، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر،2018/2017، ص6.

حرص الباي على تقديم مشروع الدستور لنابليون الثالث[1] أثناء زيارته للجزائر فلما حصل على موافقته أعلن الباي وسط احتفالات باهرة الدستور التونسي في 28 أفريل سنة 1861م.[2]

عانت تونس منذ عام 1815م وحتى فرض الحماية الفرنسية عليها عام 1881م من ظروف سياسية واقتصادية داخلية وخارجية، قادت إلى تدخلات أجنبية فرنسية، وخاصة سياسيا واقتصاديا[3]، في أثر سيطرتها على مدينة الجزائر منذ عام 1830م، وتوسيع نفوذها محاولة بذلك القضاء على المقاومات الوطنية المسلحة التي قامت ضدها متطلعة لاحتلال تونس.[4] ومنذ بداية القرن التاسع عشر ازداد نشاط الجاليات الأجنبية في تونس، وشرع البايات في استقدام الخبراء الأجانب ومنحهم عدد من الامتيازات، مثل توسيع ميناء تونس، وإنشاء سكك حديدية، وإقامة خطوط التلغراف، وهو ما دفع القناصل الفرنسيين على التدخل لحماية مصالحهم، والتأثير في البلاط للاستدانة، وأخذ القروض من أوروبا، وتحديدا من فرنسا، ولكن هذه الثورة باءت بالفشل، وتم سجن بن غذاهم حتى توفي، و أمام تدهور الأوضاع الاقتصادية وخاصة المالية و تأثير الضغط الدولي، سلمت الدولة مصلحة الجمارك للأجانب نظير ما اقترضته من أموال، فتشكلت في تموز 1869م لجنة مراقبة مالية دولية برئاسة **خير الدين باشا التونسي** الوزير الأكبر ،رئيس وزراء.[5] وبدورها حولت تلك اللجنة مجموع الديون إلى دين موحد قدّر بنحو مائة وعشرون مليون فرنك بفائدة (5%)، فأصبح من الصعب على تونس أن تدفع لفرنسا أكثر من ستة ملايين فرنك سنويا من مجموع ثلاثة عشر مليون التي هي

---

[1] **نابليون الثالث(1808–1878م)**:هو نابليون بونابارت كان إمبراطور فرنسا من 1853-1870م، وتقلد منصب رئيس الجمهورية الثانية عام 1848م.ينظر شفيق محمد غربال: **الموسوعة العربية الميسرة**، مج2،ص12.

[2] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس**، سراس للنشر، تونس، 1993، ص 81،95.

[3] محمد علي داهش: **دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي**، اتحاد الكتاب العربي، دمشق ،2004، ص41.

[4] الحبيب ثامر: **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص22.

[5] **خير الدين باشا التونسي**: هو أحد لمصلحين التونسيين تقلد مناصب عديدة 1857م، ثم رئيس مجلس الشورى عام 1861م، انقطع عن العمل الحكومي (1862-1869م) ثم أصبح رئيس الوزراء للأعوام(1873-1877م). ينظر: أحمد أمين: **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1965، ص146، ص147.

إيرادات الحكومة التونسية، وبذلك أضحت تونس مسخرة لدفع فوائد الدين الأجنبي، وأصبحت تلك اللجنة ميدانا للتنافي بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، ما أدى بفرنسا إلى وضع يدها على تونس.[1]

تزامنت المطامع الفرنسية في تونس مع انعقاد مؤتمر برلين الثاني في 13 حزيران –3تموز 1878م، الذي فتح لها الباب لاحتلالها، إذ تخلت بريطانيا عن أطماعها في تونس مقابل اعتراف فرنسا بسيطرتها على جزيرة قبرص، و قد صرح بذلك وزير خارجية بريطانيا **اللورد روبرت سيسل سالسبوري**(1878–1880م) لنظيره الفرنسي **وليام هنري ادينكتون** (1877–1879م)على هامش انعقاد المؤتمر بقوله :" **أنه لا يعارض فرنسا إذا أرادت الاستيلاء على تونس** "، في الوقت نفسه شجع مستشار الإمبراطورية الألمانية **أوتو فونبسمارك**(1871 –1890م)المقترح البريطاني، هادفا بذلك منح التعويضات لفرنسا بهدف صرف أنظارها عن فكرة الأخذ بالثأر لحرب سيدان[2].ومن جهتها فإن إيطاليا ما كانت لتتخلى عن أطماعها في احتلال تونس، إلا أنها لم تتلق دعما فعليا حقيقيا من أحد، إذ عارضت بريطانيا تدخلها في تونس، لأنها تمكنهم من مراقبة الساحل الجنوب الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، و تمكنهم من قطع طريق الهند (درة التاج البريطاني)، خاصة بعد فتح قناة السويس عام 1869م.[3] وعلى الرغم من تأييد ألمانيا لفرنسا لاحتلال تونس إلا أن الرأي العام الفرنسي وعددا كبيرا من السياسيين الفرنسيين، اعتبروا تأييد **بسمارك** للتدخل الفرنسي في الشؤون التونسية مناورة كان القصد من ورائها تعكير العلاقات الفرنسية مع إيطاليا و عزل فرنسا على الصعيد الأوروبي ، إلا أن فرنسا وافقت علة مقررات مؤتمر برلين، لأن ذلك سيؤدي إلى إعادة

[1] جمال الدين ساسي: **العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الاحتلال**، المرجع السابق، ص59، ص60.

[2] **حرب سيدان:** حدثت بين فرنسا والمانيا واستمرت من 1 أيلول 1870الى آذار 1871م استسلمت فيها فرنسا وتم اسر الامبراطور نابليون الثالث واسرته، فاضطرت فرنسا للتنازل عن الالزاس واللوريين ودفع غرامة حربية قدرت ب خمسة مليارات فرنك. ينظر: روجر باركنسن: **موسوعة الحرب الحديثة**، تر: سمير عبد الحليم الحلبي، ج1، دار المأمون، بغداد، العراق، 1990، ص105، ص106.

[3] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.ت، ص71.

التوازن في منطقة البلقان و المضايق بشرق أوروبا، و يمكنها من الحصول على موارد جديدة و ثروة لنشاطها الاستعماري ، وتحقيق تطلعاتها الاستعمارية في المغرب العربي منذ احتلال الجزائر .[1]

اتخذت فرنسا من انتقال عدد من القبائل العربية التونسية (بني خمير) شمال غرب تونس عبر الحدود الجزائرية في جانفي 1881م، ذريعة للغزو بحجة مساندتها للثوار الجزائريين، و قام الفرنسيون بتحريض الجالية الفرنسية داخل تونس على رفع عريضة في الرابع عشر من آذار 1881م إلى الحكومة الفرنسية، التمست فيها تدخل فرنسا السريع لضمان حقوق الرعايا الفرنسيين و أموالهم وعليه عبرت قوات فرنسية 28 أفريل 1881م من دون سابق انذار الحدود الجزائرية التونسية بقيادة الجنرال جون **إيمي بريار** وكان تعدادها ثلاثون ألف جندي و احتلت مدينتي الكاف وطبرقة، وقد واجهت تلك القوات صعوبات في تقدمها بسبب المقاومة العربية وسوء الطرقات، بعدها نزلت قوات بحرية في ميناء بنزرت شمال تونس، و بعد احتلالها تقدمت القوات الفرنسية نحو العاصمة.[2]

وفي هذه الأثناء قام الباي محمد الصادق (1859-1882م)، بجهوده في الاحتجاج لدى الدول الموقعة على معاهدة برلين، وطلب منها التدخل لوقف الاحتلال، في الوقت نفسه كلف الباي أخاه بقيادة الجيش لصد القوات الفرنسية، إلا أنه لم يستطع صدها و لا منعها من التقدم، حيث تأكد الباي بأن الدولة العثمانية ستفي بوعدها بإرسال أسطولها البحري إلى تونس، إلا أن آماله باءت بالفشل و الإخفاق[3]، فقد وصلت القوات الفرنسية في 11 ماي 1881م، إلى مقر الباي في قصر سعيد، و في 12 ماي 1881م توجه الجنرال **بريار** برفقة القنصل الفرنسي في تونس **تيودور روستان** لمقابلة الباي و قدم له نسختين من معاهدة فرنسية تونسية مجهزة مسبقا و أمهله مدة خمسة ساعات لقبولها أو رفضها، وبعد ساعتين وتحديدا في الساعة الثامنة مساءا ،وقع الباي معاهد

[1] صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر-تونس-المغرب الأقصى**، ط6مزيدة ومنقحة ،مكتبة الانجلو المصرية ،1992، ص195.

[2] احسان حقي: **تونس العربية**، دار الثقافة، بيروت، لبنان ،1970م، ص123.

[3] علي سلطان: **تاريخ العرب الحديث(1516-1918م)**، منشورات مكتبة طرابلس العالمية، طرابلس، د.ت، ص553.

"**باردو**"، تضمنت المعاهدة عشرة شروط أهم ما جاء فيها أن التواجد المؤقت للقوات الفرنسية وتركزها في مناطق الحدود والساحل، ورحيلها عندما تصبح الإدارة التونسية قادرة على حفظ أمن نظامها، في الوقت نفسه لا يحق للباي عقد معاهدة مع أي دولة أجنبية إلا بموافقة فرنسا، ومقابل ذلك تتعهد فرنسا بحماية الباي وأسرته، والجدير بالذكر أن معاهدة **باردو** لم تذكر في نصها كلمة حماية، بل نصت على أنها معاهدة ود وصداقة، بيد أن فرنسا ذكرت بأن وجودها ليس احتلالا بل حماية، ولكن حقيقة الأمر أنها اعتدت على السيادة التونسية داخليا وخارجيا.[1]

كان انفتاح البلاد للمنتوجات و الأفكار و التجار ثم للماليين الأوروبيين قد نتجت عن صعوبات مالية لم تستطع الدولة تحملها ،فزاد الحكام من أثقال كاهل الرعايا بالضرائب، وكانوا تحت رحمة الكوارث الطبيعية والاضطرابات النقدية والفوضى السياسية التي حلت بالبلاد، فاتسعت الهوة بين الأسرة الحاكمة و أهالي البلاد، فاضطر البايات للاستنجاد بالمماليك لتسيير المصالح الإدارية لهم، حيث أن البلاد دخلت في ثورات بعد فترة من الهدوء، علما أن ثورة **علي بن غذاهم** اشعلت البلاد وجعلتها تقف ضد الباي ومماليكه وسياسته الجبائية و الإصلاحية، وفشلت الثورة فأسهم القمع الذي صحبها في زيادة تخريب قسم لا بأس به من البلاد خاصة منطقة الساحل (مصدر انتاج الزيت)، وكانت بالنسبة للنظام بمثابة البقرة الحلوب، ثم عقبت هذه الأزمة السياسية مواسم فلاحية سيئة، ثم المجاعة والكوليرا سنة 1867.[2]

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في فرنسا ما بين(1830إلى 1881م)

لقد شهدت فرنسا خلال القرن 18 العديد من الأحداث لعل من أهمها الثورة الفرنسية و انتقال السلطة من النبلاء إلى الطبقة البرجوازية و انقضاء الجمعية التشريعية أي إلى سيادة مبادئ الحرية و الإخاء و المساواة، و في الواقع الثورة الفرنسية لم تأخذ موقفا صريحا من أجل تحرير العبيد

[1] عبد الكريم محمود غرايبة: **تاريخ العرب الحديث**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ،1984م، ص187.زاهية قدورة ص523.

[2] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس**، تع محمد الشاوش، محمد عجينة، سراس للنشر والتوزيع، ط،1993، ص97، ص98.

الموجودين في مستعمراتها ولكن الثورة كانت تمثل ضلالا لعدم موافقة فرنسا على الاستمرار في مثل هذه التجارة، إضافة إلى ذلك الصدمات العنيفة التي أصابت الأسطول الفرنسي الحربي و التجاري نتيجة لسلسلة من الحروب انتهت بفقدها كندا ثم بنشوب الثورة الفرنسية، وفي نفس الوقت انتشرت فيه آراء المفكرين و الفلاسفة في أوروبا و فرنسا، و ظهرت الإمكانيات الضخمة أمام الطبقة الوسطى أو البرجوازية في فرنسا لكي تتصارع مع طبقة النبلاء، و تصل بعد ذلك إلى الحكم على أساس أنها كانت هي التي كانت تدفع الضرائب.[1]

تمتع ملوك فرنسا بالاستبداد المطلق، فتركزت في أيديهم كل السلطة، وقد أفاد هذا عندما كان الملوك ذوي الشخصيات القوية، ولكن الأمر كان على النقيض أيام لويس الخامس عشر(1710-1774م)، ولويس السادس عشر(1774-1792م) ففي حكمه قامت الثورة الفرنسية سنة 1789م، حينما استغلت هذه السلطة لإشباع مطامع الملوك وشهواتهم، خصوصا وأنه لم تكن هناك مسؤولية للملك. كانت فرنسا مكونة من الولايات العديدة التي أخضعها الملوك في العهود المختلفة مثل: **بريتاني، ترمندي، برجندي، دوفين**، وقد احتفظت كل ولاية بمميزاتها القديمة من حيث الأنظمة والقوانين والتقاليد واللهجة والملبس، حيث نجد أن المجتمع الفرنسي ينقسم طبقا للأنظمة القديمة إلى ثلاث طبقات: الأشراف، ورجال دين، والطبقة ثالثة هي طبقة العامة.[2]

عاشت فرنسا منذ سنة 1830م ثورة الأيام الثلاثة (ثورة بورجوازية ليبيرالية ضد الملك شارل العاشر الذي انحاز للمحافظين)، هذه الثورة أجهضت بعد تحالف البورجوازية الكبرى مع الملك لويس فليب كما انطلقت ثورات شعوب أوروبا لسنة 1848م من باريس فرنسا إلى روما و فيينا، حيث أن فرنسا كانت تعاني أزمة اقتصادية، وذلك برفض الحكومة لإصلاح نظام الانتخابات إلى صراع سياسي بين الأحزاب فتم اسقاط حكم **لويس فليب** و اعلان الإمبراطورية سنة 1851م،حيث أقامت فرنسا حربا ضد المانيا سنة 1870م، حيث اعتبرت ألمانيا فرنسا عقبة في وجه تحقيق وحدتها علما أن فرنسا

[1] يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة الإسكندرية، مصر، ص96، ص97.

[2] أحمد نجيب هاشم، محمد مأمون نجا: **أطلس تاريخ القرن التاسع عشر**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1938م، ص14

كانت تحتل "الألزاس" و "اللورين"، و رأت وجوب استعمال كل الوسائل لمنع اتحاد ألمانيا ومن أجل ذلك عزم **بسمارك** على محاربتها، وجاءت أزمة خلو العرش الإسباني لتشعل نيران الحرب التي أعلنتها فرنسا دون الاستعداد لها في تموز **1870م**، وهو ما كان ينتظره **بسمارك**، ونظرا للتباين بين الجيشين انهزم الجيش الفرنسي في "**حرب سيدان**"، و استسلم الإمبراطور نابليون و أرغمت فرنسا على توقيع الصلح في فرانكفورت يوم **10**ماي **1871**م.[1]

كانت فرنسا في مطلع القرن التاسع عشر منهكة القوى ومشغولة بالكثير من المسائل،

و لذلك فقد ضعف نفوذها في شمال افريقيا عامة وتونس خاصة ما بين (1810و1830)،

ورغم أن فرنسا لم تقم من كبوتها في تلك السنة فان حملتها على الجزائر و احتلالها لها عام 1830م شددت عزيمتها و رفعت معنوياتها، فنشطت في تلك الأطراف و برز تأثير احتلال الفرنسي للجزائر على إثارة مطامعها لاحتلال تونس والمغرب، فبدأت منذ ذلك الحين بمحاولات السيطرة على تونس، وكانت فرنسا تتطلع إلى ازدياد رغبة التونسيين في استقلال بلادهم ومعارضة العودة إلى نفوذ السلطان، وقد سعت قناصلهم أن يكون لهم و لدولتهم المقام الأول في تونس حتى انتهى الأمر إلى وضع البلاد تحت الحماية الفرنسية عام **1881م**، حيث نجح القناصل الفرنسيون في وضع دولتهم في القطر التونسي بالفعل، واستمر ذلك حتى خسرت فرنسا الحرب مع المانيا عام 1870م، وقد مكن ثبات فرنسا في تونس و قمعها للثورة الجزائرية عامة من المحافظة على مكانتها في تونس.[2]

عين **روستان** قنصلا لبلاده سنة **1874**م، فعمل على مضايقة "**فيلي**" الإنجليزي نائب اللجنة المالية وإقالته من منصبه، وأثار شبهات حول **خير الدين** المخلص لتونس حتى انتهى الأمر بأن أخرجه **الباي** من رئاسة الوزراء، فكانت نتيجة انتهاء أي معارضة "**لروستان**" الذي نال لفرنسا ما أراد من الامتيازات في تونس وعلى عكس بريطانيا كان **روستان** ينال كل التمويل الذي يريده لتمويل

[1] عبد الجبار عبود الخضيري: **أوروبا في القرن التاسع عشر**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،2016/04/20

[2] أحمد نجيب هاشم، محمد مأمون نجا: المرجع السابق، ا لمرجع السابق، ص19.

مشاريعه، ولذلك باتت كلمته مسموعة. بين عامي(1875-1878م) قامت بين المحافل الأوروبية والدولة العثمانية ما عرف باسم الأزمة الشرقية أو المسألة الشرقية[1]، في ظل ضعف الدولة العثمانية بسبب موقف روسيا العدائي من تركيا وموقف بريطانيا المؤيد لها خشية من وصول روسيا إلى البحر المتوسط وهو أمر كان يزعج فرنسا أيضا، ففي عام **1828م** أعلن الملك **شارل العاشر** اعتزام فرنسا إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال إفريقيا، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتلال الجزائر عام **1830م**، واستتب الوضع لهم عام **1858م**، وهو نفس العام الذي قضت فيه بريطانيا على الإمارة الإسلامية المنغولية في الهند، وقد ألحقت فرنسا الجزائر بها عام **1881م**، وهي نفس السنة التي أعلنت فرنسا وضعها تونس تحت الحماية الفرنسية بموجب ميثاق **باردو**.[2]

الحملة الفرنسية على الجزائر

كانت الجزائر أولى المستعمرات الفرنسية في إفريقيا وكانت هذه البلاد ضمن أجزاء الإمبراطورية العثمانية، حيث أن الأسطول الجزائري كان كثير الإغارة على السفن الأوروبية المارة على البحر الأبيض المتوسط، ينهب تجارها ويأسر رجالها، مما اضطرت هذه الدول الأوروبية إلى عقد المعاهدات مع **الداي** من أجل حماية متاجرها و رعاياها، ومع ذلك أمعن القرصان في هجومهم دون احترام لمعاهدة أو اتفاق، وفي محادثة جرت بين القنصل الفرنسي و الداي صفع الداي القنصل الفرنسي بمروحة في يده و كان ذلك في سنة **1827م**، فأرادت فرنسا الثأر لكرامة القنصل و نوت غزو الجزائر، و لكن الحقيقة أن ذلك لم يكن سبب الغزو، بل أن الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها **بو لينياك** آنذاك كانت تريد ستر فشلها أمام المعارضة التي قامت بها جميع الأحزاب الفرنسية، حتى لقد أوشك الحكم الملكي الاستبدادي الذي أقامه **شارل العاشر** أن ينهار، فأرادت الحكومة أن تقدم للشعب ما يلهيه عن الحالة السيئة التي وصل إليها، وأكثر من هذا كان الأسطول الفرنسي مقيدا في ميناء طولون

[1] زينب عصمت راشد: **تاريخ أوروبا الحديث**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، د.ت، ص305.

[2] منقذ بن محمود السقار: **الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية**، مكة المكرمة، 1427هـ، ص6.

لا يستطيع الخروج منها إلى البحر المتوسط بسبب عدم وجود قواعد فرنسية أو صديقة يتجه إليها، بينما كان الأسطول البريطاني يمرح بين أجزاء هذا البحر بعد أن استولى على مالطة في سنة**1798**.[1]

كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية في بداية القرن **19**م أزمة ديبلوماسية واضحة نتيجة قضية الديون الجزائرية على فرنسا، والتي تماطلت هذه الأخيرة في تسديدها مما أثار حفيظة باشا الجزائر **حسين داي**، وهذا عائد إلى تطورات الأوضاع الداخلية في فرنسا وتوجهها نحو الإيديولوجية الاستعمارية التي تبنتها الحكومة الفرنسية في علاقاتها الخارجية وخاصة مع دول إفريقيا وآسيا.[2]

ثار الشعب الفرنسي بوجه شارل العاشر عام **1830م**،ونصب **لويس فليب** ملكا على فرنسا، والذي بدوره كان مؤيدا لحركات التحرر في فرنسا، ولكنه لم يلبث أن وقف ضد الشعب وعاد إلى سياسة بوربون التقليدية، فقامت ضده سلسلة ثورات واضطرابات بين سنوات(**1830-1834م**)، إلا أن السلطة استطاعت قمعها، فعندما قامت الحكومة بمنع حملة تطالب بتوسيع رقعة حق الاقتراع، اندلعت ثورة عام**1848م**، والتي قام بها الشعب للدفاع عن حقوقه، ومنه أعلنت الجمهورية الثانية ووضع دستور جديد سنة**1848م** ألغى شرط النصاب المالي للناخب، ثم انتخب الشعب **لويس نابليون** رئيسا للجمهورية، لكن عهده كان كله حروب، ولقد كانت نهايته في معركة **سيدان 1870**،ومنه دخلت فرنسا في دوامة سياسية عصيبة لبضع سنوات.[3] تشكلت حكومة مؤقتة عام **1871**وسيطرت كومونة باريس على مقاليد الحكم في البلاد، وبدأت التحكم بصورة ديكتاتورية، حيث قررت فرنسا وضع أسس للحكم الجديد، وذلك بوضع دستور جديد عام **1874**، وأقر

[1] زاهر رياض: **استعمار إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 1965م، ص 156، ص155.

[2] الغالي غربي وآخرون: **العدوان الفرنسي على الجزائر – الخلفيات والابعاد–**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، دار هومة، الجزائر،2007، ص65.

[3] حسين زغير حزيم: **تطور الفكر الديمقراطي في تاريخ فرنسا الحديث**، مجلة الأستاذ، قسم التاريخ، كلية التربية –الجامعة المستنصرية، ع205، مج1، 2013، ص446.

الدستور بحق الاقتراع للذكور البالغين **20**سنة، وأعطى الدستور لفرنسا حكما برلمانيا شبيه بالحكم البرلماني البريطاني.[1]

اختلفت الأوضاع في تونس من عهد الى عهد، فتارة تكون مستقرة، وتارة مضطربة، حيث ان شخصية الباي تلعب دورا كبيرا في تذبذب هذه الأوضاع، ففرنسا أخذت تتطلع لاحتلال تونس وذلك لبسط نفوذها، والتغني بخيرات البلاد، لأن الأوضاع في فرنسا كانت سيئة جدا، فرأوا في الاستعمار و مخرجا لتحسي أوضاعها و استقرارها.

[1] حسين زغير حزيم: **تطور الفكر الديمقراطي في تاريخ فرنسا الحديث**، المرجع السابق، ص447.

الفصل الثاني: العلاقات التونسية الفرنسية من 1830م الى 1881م

المبحث الأول: العلاقات السياسية

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية

المبحث الثالث: العلاقات العسكرية

تعتبر العلاقات تأثيرات و التفاعلات بين دولة و أخرى، وهي على أنواع سياسية، اقتصادية، عسكري، اجتماعية، ثقافية إلخ....، حيث كانت العلاقات التونسية الفرنسية قائمة منذ زمن بعيد، إلا أنها برزت بشكل أوضح سنة 1839م،حيث أدت الزيارات المتكررة لفرنسا من طرف بايات تونس إلى تأثرهم بالحضارة الفرنسية و محاولة تجسيديها على الأراضي التونسية .

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين تونس وفرنسا

بالنسبة للعلاقات السياسية بين تونس و فرنسا كان التمثيل الديبلوماسي هو المعيار الذي من خلاله يدل على متانة العلاقة بين الطرفين، فالتمثيل القنصلي التونسي كان موجودا في أهم المدن الفرنسية مثل: **"باريس"** سنة **1846م**، و"طولون" سنة **1847م**، فأدى بذلك إلى علاقة خاصة تربط **"باردو"** بباريس، ربما لم ترقى إليها أي دولة أخرى سواء غربية أم عربية[1]، وهذا ما يفسره قول أحمد باي في إحدى المرات للقناصل الفرنسيين المتواجدين بتونس: **"أنا داع لفرنسا بالخير وسائر ما تستحقه من بلادي وهو موجود فهو لها"**، فكانت فرنسا تترصد لهذه الفرصة فهي بذلك تسعى إلى تقوية علاقاتها مع الإيالة العثمانية من جهة، وهدم هذه العلاقة بين الإيالة والدولة العثمانية من جهة أخرى، ولابد أن نية فرنسا من وراء كل ذلك وهو ما عبر عنه وزير خارجيتها "**جول فيري**"[2] بقوله: "**إن تونس هي مفتاح دارنا في شمال إفريقيا و لا يمكننا أن نترك هذا المفتاح يقع في أيدي غيرنا**."[3]

يعتبر قانون عهد الأمان المؤرخ في 10 سبتمبر **1857م** الذي صدر في عهد محمد باي **(1855-1859م)** الباب الذي فتح المجال لوفود الجاليات الأوروبية، بحيث نص على إحدى عشرة

---

[1] جمال الدين ساسي: **العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الاحتلال (1839-1881)**، مرجع سابق، ص

[2] **جول فيري**: هو سياسي فرنسي ولد سنة 1832م من عائلة الزاسية تولى عدة مناصب مرموقة منها رئيس وزراء مرتين بباريس، وكان منظرا للسياسة الاستعمارية للجمهورية الثالثة وذلك ببذل كل جهوده لبناء إمبراطورية استعمارية فيما وراء البحار. ينظر: نور الدين صحراوي، المرجع السابق، ص56.

[3] نقلا عن نور الدين صحراوي نفسه، ص56.

قاعدة أساسية سوى فيها بين جميع سكان الإيالة التونسية في الحقوق والواجبات، وقد كانت من العوامل التي أدت إلى كتابة القانون هو قتل يهودي والتي استغلتها الدول الأوروبية وخاصة فرنسا واعتبرتها كذريعة، فقد كان القانون بمثابة صدى للتحقيق المصالح الاستعمارية وضمان مصالحها ومصالح رعاياها.[1]

صدر دستور **1861م** من طرف الباي **محمد الصادق(1859-1881م)**[2] ، وهو أول دستور مكتوب في المجال التشريعي في العالم العربي والإسلامي بأكمله، وهو يتكون من **مائة و أربعة و أربعين** مادة موزعة على ثلاثة عشر بابا، وأقر هذا الدستور تفريقا هيكليا بين السلط، لكن لم يصحبه تفريقا وظيفيا لها[3].كما نظم هذا الدستور السلطات العامة وأضحى الميثاق الأساسي ونوعا من الإعلان عن الحقوق و الواجبات، فكانت سياسة تونس الخارجية في عهده تحاول التوفيق بين تجاهين اثنين متناقضين وهما محاولة الحفاظ بالارتباط بالدولة العثمانية ثم الاندفاع بقوة نحو فرنسا. ربما تكون هناك نوايا خفية للبايات من خلال وصول علاقاتهم بفرنسا دون غيرها إلى هذا الحد.[4]

[1] مراد مهني: **الثقافة السياسية وتطور المؤسسة البرلمانية قراءة سوسيو تاريخية في التجربة التونسية (1861–2011م)**، دفاتر السياسة والقانون، ع12، جانفي 2015م، ص153.

[2] الباي **محمد الصادق (1859–1881م)**: هو محمد الصادق بن حسين بن محمود باي ولد عام 1813م ورث الحكم عن أخيه في 23ديسمبر 1859م وهو الباي الثاني عشر من سلسلة بايات الأسرة الحسينية ولا يختلف عن سالفه كثيرا سوى أنه أقل أمية وجهلا إلا أنه كان أكثر منه ضعفا في الشخصية وكان يمتاز بالخمول الذهني والترف كثيرا فأصبح في آخر حكمه قليل الاكتراث بشؤون البلاد وتلبية حاجيات الناس. ينظر: عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص65.

[3] مراد مهني: **المرجع السابق**، ص154.

[4] عبد الجليل التميمي: **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس –الجزائر –ليبيا(1816–1871م)**، الدار التونسية للنشر،1972، ص65.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية بين تونس وفرنسا

ترجع جذور العلاقة التونسية الفرنسية في المجال الاقتصادي لزمن بعيد فهي نتاج لعلاقات فرنسا بالشرق الإسلامي، وذلك أيام "**فرنسوا الأول**" و السلطان "**سليمان القانوني"(1520-1566م)**[1] والتي مكنت فرنسا من الحصول على امتيازات اقتصادية في بلاد الشرق الإسلامي عموما، و في تونس بوجه خاص ، و ذلك عن طريق اتفاقيات ظلت تتجدد من حين لآخر[2]،أما في القرن التاسع عشر فقد وقع تجديد لتلك الامتيازات الممنوحة لفرنسا مع إضافة شروط جديدة جاءت أغلبها لصالح فرنسا. وجد النفوذ الفرنسي سندا قويا يعتمد عليه في الداخل و الخارج بفضل تلك المعاهدات، خاصة وأن كل المعاهدات الموقعة خلال القرن التاسع عشر كانت بدون واسطة بين الطرفين [3]،في هذا القرن و مزامنة لحركة الإصلاح التونسي عرف هذا الجانب نوعا من النهوض والتمدن و الإصلاح الذي يزداد به عمران البلاد وحضارتها فقد أسسوا بنكا (**دار المال**)، وأوكل عليه محمود ابن عياد.[4]

أصبحت نشاطات الإيالة ماليا من دفع و قبض و جبايات و مرتبات و غيرها تتم بواسطة في هذا البنك، من ذلك الوقت فتلبية لمتطلبات هذه المرحلة تم استصدار أوراق مالية مؤتمنة[5]،ومنحوا

---

[1] **سليمان القانوني (1520–1566م)**: ابن السلطان سليم الأول فاتح سوريا ومصر وفي عهده وصلت الدولة الى أوج قوتها، فكان سلطان العالم وسلطان القارات الثلاث. ينظر: غانية بعيو: **التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839–1876م**، مرجع سابق، ص24.

[2] أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج4، بيت الحكمة، تونس، ص144.

[3] شهدت الإيالة التونسية ضعف اقتصادي سببه تدهور النقد في تونس مما جعل الدول الأوروبية لا تتداول العملة التونسية، ويذكر محمد السنوسي عندما زار أحد المدن الإيطالية وأراد استبدال قطع النقود فضية فلم تقبل منه. ينظر إلى: محمد السنوسي: **الرحلة الحجازية**، ج1، تح على الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع ،1976م، ص56.

[4] **خير الدين التونسي**: ولد سنة 1823م وقد سجل في مذكراته أنه شركسي الأصل ولم يحتفظ بذكرى عن موطنه الأصلي لأنه اختطف صغيرا وتربى في قصر الباي أحمد، وهو من أشهر رواد الحركة الإصلاحية في تونس. ينظر: **خير الدين التونسي**: **أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تق محمد الحداد، دار الكتب لمصري، القاهرة ،2012م، ص11.

[5] شهدت الإيالة التونسية ضعف اقتصادي سببه تدهور النقد في تونس مما جعل الدول الأوروبية لا تتداول العملة التونسية، ويذكر محمد السنوسي عندما زار أحد المدن الإيطالية وأراد استبدال قطع النقود فضية فلم تقبل منه. ينظر إلى: محمد السنوسي: **الرحلة الحجازية**، ج1، تح على الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع ،1976م، ص56.

الترخيصات لإنشاء بنوك أجنبية، لهدف ضمان السيولة النقدية و تشجيع و دعم الاستثمار و المعاملات التجارية، فسارعت إنجلترا بدورها عن طريق رجل أعمال يدعى **"مسيوطود"** لتأسيس بنك إنجليزي تونسي، وذلك بعد أن تم العقد وتم تسجيله في إنجلترا و الاتفاق عليه سعت فرنسا جاهدة إلى إجهاض المشروع و فسخ العقد، وتحملت الخزينة التونسية وحدها نفقات التعويض المترتبة على ذلك، وهو ما كبدها خسائر إضافية لاقتصاد الإيالة، و هو ما يعتبر مظهرا من مظاهر النفوذ الفرنسي في تونس، وفي سبيل حركة الإصلاح التونسي عرف العديد من الرجال المؤهلين للنهوض بشتى الجوانب في الإيالة ومن بينهم **خير الدين التونسي**[1]، الذي أراد أن تشهد تونس تنمية في قاعدتها الاقتصادية تتمكن من تحمل تكليف الإمكانيات الحديثة، فهو الذي يصف متأثرا بحالة فرنسا أثناء فترة من رخائها الاقتصادي وحسن التدبير وروح المسؤولية بها إذ يقول:" **وماهم عليه من الثروة واتساع الآمال، بسبب تنظيماتهم العادلة الضابطة لتصرفات الدولة بحيث لا يسوغ لها أن تسلم شيئا من المال إلا لمن تحقق حسن تدبيره وحسن إدارته فضلا عن أمانته لأن مجلس المحاسبات يتعقب مصارف الدولة بحساب مدقق.**"[2] لقد وضع خير الدين في اعتقاده أن الإيالة التونسية يجب أن تلجأ للاستثمار في المصانع حتى تحول محاصيلها إلى بضائع تباع في الأسواق المحلية، لأن الإيالة كانت تبيع المواد الخام من: قطن وحرير، وصوف، وغيرها من المزاود للأوروبيين بأسعار زهيدة، ثم تشتري بعد مدة قصيرة بأثمان مضاعفة ليكون بذلك أحسن اتباع سياسة ترشيد الإنفاق، و التجنب من وقوع الاقتراض من أية دولة [3]، فرأى أنه من الأحسن للمصانع التونسية أن تغزل و تنسج الخيوط التي تنتجها محليا وهذا ما سيحقق الرخاء في البلاد، و الذي بدوره يؤدي إلى الاستثمار في عدد أكبر من المشروعات البنية التحتية، لتسمح بذلك بقوة التجارة الخارجية للإيالة مع

[1] خير الدين التونسي، المصدر السابق، ص 162.

[2] نفسه، ص136

[3] **حموده باشا:** ولد في الجزائر عام 1759م وهو أكبر إخوته الخمسة كان منذ صغره يحمل طابع الذكاء وبعد النظر وذلك من خلال إبرازه لقدرته أثناء فترة حكمه وكفاءته التي فاقت مقدرة جميع بايات الدولة الحسينية سواء بالنسبة لعلاقاته بالدول

الدول الأوروبية ،ويمكن ملاحظة أن هذه الأوضاع والمبادلات التجارية لمحاولة النهوض بالاقتصاد التونسي على الصعيد الداخلي والخارجي كان قد عرفته تونس قبله في زمن **حمودة باشا**.[1]

كانت السياسة التجارية في الخارج في قمة قوتها فأثرت سلبا على المؤسسات الفرنسية القائمة بتونس، فيذكر أحد المؤرخين واصفا انتشار ظاهرة اهتمام التونسيين بالتجارة الخارجية يقول:" **إن التونسيين العاملين بهذه المصلحة أصبح عددهم يفوق المائة وخمسين تاجرا كبيرا وفي حال أن المؤسسات التجارية الفرنسية العشرين التي كانت عاملة في التجارة الخارجية بتونس أصبح عددها إلا خمسة فقط وهي تعمل للعادة لا للأرباح.**"[2] فقد كان المجال الفلاحي هو المعني بالتحديث فقد صدرت بعض الإجراءات القانونية التحفيزية كالإصلاحات تتكامل مع التغيرات التي تعيشها الإيالة ومنها التخفيض في الجباية المتمثلة في تخفيض ضريبة العشر التي كانت الإيالة تحددها بواسطة العمال الذين يكرهون أصحاب المزارع بغض النظر عن كميات محاصيلهم.[3]

المبحث الثالث: العلاقات العسكرية بين تونس وفرنسا

يعتبر الجانب العسكري من أهم العوامل التي تحدد طبيعة العلاقة بين البلدين و تصنيف هذه الصلة وأهدافها، حيث أن **الباي أحمد** الذي استهل حكمه بقوته و عزيمته الثابتتين على الإصلاح في مجالات عدة و ساعدته على ذلك تربيته العسكرية فقد نشأ في فترة الإصلاحات العسكرية النظامية التي أخذت بها تونس، وكان قد بدأ في ولاية أبيه التنظيم العسكري النظامي وكان **للباي أحمد** دور كبير فيه[4].فكانت بداية فترة حكمه بداية عهد جديد بالنسبة للتاريخ التونسي و علاقاتها

الأوروبيون والدولة العثمانية او بالنسبة لعلاقاته بالولايتين المجاورتين لتونس وهما طرابلس والجزائر، وتوفي عام 1814م. ينظر: رشاد الإمام: **سياسة حمودة باش في تونس 1782–1814**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة، دائرة التاريخ الجامعة الأمريكية، بيروت، د.ت، ص 68، ص72.

[2] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1977، ص288.

[3] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص288.

[4] نفسه، ص288.

بالدول الأجنبية عامة و بفرنسا على وجه الخصوص، ففي هذا المجال أنشأ مدرسة عسكرية لتكوين الضباط المعروفة باسم مدرسة "**باردو**" العسكرية التي تم تأسيسها **1840**م،وتكمن أهمية تأسيس هذه المدرسة كونها الجانب العلمي الذي لا بد منه لتكوين جيش حديث، و في الوقت نفسه كان بداية التعرف على طريق التعليم الحربية في أوروبا المتقدمة في هذا الشأن[1]، كما يكمن تأسيسها بأنها مظهر لمحاكاة مثيلاتها في كل من الدولة العثمانية و مصر، علما أن هذه المدرسة بدأت بحوالي خمسين جندي من أبناء البلاد يتعلمون فنون الحرب نظريا و تطبيقيا، إضافة إلى علوم الدين واللغات كالعربية والفرنسية و الإيطالية .[2] فقد تداول على التدريس العديد من الضباط الأوروبيين من الإيطاليين و غيرهم، غير أن النصيب الأكبر كان للفرنسيين، وأشهرهم الضابط "**كمبون**، إلى جانب بعض التونسيين وأشهرهم في العلوم العربية و الدينية الشيخ الشاعر "**محمود قابادو**"[3]، فقد بذل **الباي أحمد** مجهودا مضني لإنشاء جيش نظامي على الطريقة الأوروبية، لذلك توجه نحو أوروبا يطلب مساعدتها على تكوين جيشه، وقد سنحت هذه الفرصة لفرنسا عندما لبت طلبه و ذلك عن طريق إرسال مجموعة من الضباط لهذا العمل تمثلت في بعثة عسكرية رسمية سنة **1843**م.[4]

قام الباي بزيارة فرنسا وذلك يوم **05**نوفمبر**1846**م،ليصل بعد ذلك إلى ميناء طولون في غضون ثلاثة أيام فكان مهيأ بصفوف من الجند، ثم أتى أمير الأسطول الفرنسي ورحب بالباي وضيوفه قائلا: "**إن فرنسا في انتظارك**"[5]،بعدها وفي طريقه إلى باريس شاهد العمران وميادين الحضارة المتقدمة والتي من خلالها أنشأ الباي مصنعا للقماش خاص بالزي العسكري معتمدا على

[1] عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص55.

[2] نفسه، ص 56.

[3] **محمد قابادو(1812–1871م)**: من أسرة تونسية شريفة النسب، وأظهر في سن مبكرة من عمره ميله للتصوف زار الكثير من الأماكن ومنها إستانبول وبروز أقطاب الصوفية أمثال محي الدين بن العربي وجلال الدين الرومي، وعند عودته إلى تونس تم تعينه معلما بمدرسة الباردو فأقبل بإخلاص على مهمته ونجح فيها. ينظر: الصادق الزمرلي: **أعلام تونسيون**، تع حمادي الساحلي، ص68، ص70.

[4] أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ص98.

[5] عبد الجليل التميمي: نفسه، ص50، ص53.

خبرات أوروبية في هذا الأمر و خاصة الفرنسية منها، كما وأقام مصنعا للبارود و المدافع كما أنشأ المطاحن و المخابز لتمويل الجيش، واندفاعا وراء التقليد و بحثا عن التغيير و التحديث جعل لباس جنوده يشبه لباس الجيش الفرنسي وهذا يدل على الحضور القوي لفرنسا في مؤسسات الجيش التونسي يعني التركيز على اهتماماتها السياسية المبكرة في تونس من خلال تلك العلاقات التي وصل إليها كلا الطرفيين .

يعتبر حضور فرنسا في كافة مؤسسات الإيالة التونسية و حتى في الجوانب الحساسة بالنسبة للبلد وهو الجانب العسكري فقد كانت مجموعة من الضباط الفرنسيين تشرف على مهمة تدريب الجند التونسيين فالجانب العسكري كان من المفروض أن يكون من أكثر الأمور سية في الإيالة كونه معيار أساسي لقوة الدول أو ضعفها.

الفصل الثالث: الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل المحلية والدولية

المبحث الأول: الحماية الفرنسية على تونس وتوقيع معاهدة الباردو 1881م.

المبحث الثاني: ردود الفعل الأولية المحلية (الداخلية)

المبحث الثالث: ردود الفعل الدولية (خارجية)

الحماية الفرنسية في تونس انتصبت يوم 12 ماي 1881 م، بموجب معاهدة "باردو"، حيث غيرت الحماية الهيكلة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في البلاد، و ظهرت على إثرها مقاومات بمختلف المناطق في تونس تعبر عن رفضها للتواجد الفرنسي على أراضيها المبحث الأول: الحماية الفرنسية على تونس وتوقيع معاهدة الباردو 1881م.

1- أسباب الحماية الفرنسية على تونس

كانت فرنسا تسعى جاهدة للحصول على أكبر قدر من الامتيازات في تونس ومنها امتياز توسيع ميناء تونس وإنشاء سكة حديدية، وإقامة خطوط تلغراف مع العلم أن البنوك الفرنسية عرفت حيوية وازدهار في تونس[1]، علما أنه كان هناك تنافس فرنسي إيطالي للسيطرة على تونس، ففرنسا بحكم وجودها في أرض الجزائر، وإيطاليا بحكم قرب أراضيها من تونس.[2] علما أن قناصل كل دولة قد لعبوا دورا هاما في تونس، فعلى سبيل المثال **"روستان"** قنصل فرنسا رأى في ثورة **"علي بن عذاهم"** فرصة ذهبية للتدخل في الشؤون التونسية فدعم الثورة و قام بتشجيعها، بل الأدهى والأمر أنه تقدم بطلب تنحية المعاديين لفرنسا و تنحيتهم عن مراكز السلطة [3]، أما القنصل **"دي بوفال "** فقد سعى جاهدا للحصول على الامتيازات للرعايا الفرنسيين في تونس[4]، لكن هزيمة فرسا عام **1870م** مع بروسيا هزت نفوذها في تونس، ولكنها لم تلبث أن تمكنت من أن تجعله مستقرا وهذا بفضل القنصل **"روستان"** الذي كان له الفضل في حصول شركة فرنسية تدعى"**Bone Galma**" على امتياز مد الخط الحديدي من تونس إلى غاية الحدود الجزائرية.[5] احتكرت فرنسا الكثير من

[1] نمير طه ياسين: **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر، الأردن، عمان ،2010، ص104.

[2] زين العابدين شمس الدين: **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المسيرة، الأردن، عمان ،2011، ص142.

[3] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص121.

[4] ابن بي ضياف: **إتحاف أهل الزمان**، مصدر سابق، ج6، ص22.

[5] Cambon Henri : **Histoire de la Régence de Tonis**, paris, 1948, p103.

المشروعات مثل خطوط البرق وبعض المشاريع في زغوان[1]،وذلك لتضمن وفائها بالديون، لأن نفوذ فرنسا كان في قمته وذلك أن ديونها كانت تمثل نسبة كبيرة من الدين التونسي كان يمثلها مندوب حريص على مصالحها، وكل هذه الامتيازات حدت من سلطة الباي، بل تعتبر سببا في تدني الأوضاع الاقتصادية في تونس.[2]

عانت تونس من أوضاع متذبذبة خاصة بعد أن ثقل الضرائب التي عانى منها سكان الإيالة، وفي هذه الأثناء كانت فرنسا تعاني تقهقرا في ظل الأزمة الاقتصادية، مما دفع بها إلى الرغبة الشديد في امتلاك تونس التي كانت تعتبر تحديا لطموحات الدول الأوروبية العظمى وخاصة إيطاليا، بحيث تعددت أولويات فرنسا وتنوعت عواملها من سياسية، اقتصادية، واستراتيجية.

أولا – أسباب سياسية

تعددت الدوافع السياسية واختلفت ولعل من أبرزها:

- تصريح وزير خارجية بريطانيا **سالسبوري** لنظيره **وادينتون** الذي كان الغرض منه إشغال فرنسا عن مسألة قبرص التي استولت عليها بريطانيا بعدما كانت تابعة للدولة العثمانية ، فقال في هذا التصريح قائلا "**احتلوا تونس إن شئتم فبريطانيا لا تمانع ذلك بل تحترم قراركم.**"[3]
- هزيمة فرنسا على يد الألمان، فاختلطت موازين فرنسا على إثر هذه الهزيمة، فظهرت فكرة الثأر وتجديد العسكرية الفرنسية والتي تبناها العديد من القادة، وفي نفس الوقت استرجاع هيبتها ومكانتها بأروبا.[4]

---

[6] **زغوان:** مدينة قريبة من تونس من جهة الجنوب، عند سفح جبل زغوان. ينظر يحي شامي: **موسوعة البلدان العربية الإسلامية**، مرجع سابق، 51.

[2] زين العابدين شمس الدين: **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص141.

[3] على محجوبي: المرجع نفسه، ص35.

[4] لحبيب ثامر: **هذه تونس**، المرجع السابق، ص25.

– التشجيع الألماني البريطاني لفرنسا على احتلال تونس والاستيلاء عليها وعزلها عن ممتلكات الدولة العثمانية، وذلك بعد مؤتمر برلين **1878م**، فكان **"روستان"** متحمسا لاحتلال تونس خاصة بعد التغيرات التي طرأت على موقف الدول الأوروبية باستثناء إيطاليا.[1]

ثانيا – أسباب استراتيجية:

– العامل الجغرافي وذلك بحكم قرب تونس من صقلية فهي تبعد عنها سوى **140**كلم، حيث أن موقعها أكسبها مكانة استراتيجية كبرى، وصارت محل أطماع الدول الأوروبية، وصار احتلالها يشكل أهمية بالغة، إذ يمكن من مراقبة العبور بين غربي البحر المتوسط وشرقه.

– مجاورة الجزائر لتونس والامتداد الجغرافي لها، وهذ الجوار يقتضي نشوب مشاحنات بين الطرفين، ولهذا وجب على فرنسا الاستيلاء على تونس، وذلك تجنبا لأي تهديد أو خطر خارجي للحدود الجزائرية.

– الاستيلاء على الميناء الحربي **بنزرت** الذي يمثل قاعدة بحرية من الدرجة الأولى في البحر المتوسط، حيث أضحى احتلال تونس بالنسبة لفرنسا بمثابة درع الأمان لأسطولها الحربي وخاصة منذ فتح **قناة السويس**.[2] سنة **1869م**، حيث أصبح هذا الميناء الحلقة الرابطة بين الشرق والغرب.

ثالثا – الأسباب الاقتصادية:

– بحث فرنسا عن أسواق تكون مضمونة لتصدير البضائع المكدسة، حيث أن فرنسا كانت بأمسّ الحاجة لإيجاد أسواق ومجالات لاستثمار فوائض ورؤوس أموالها ومنتوجاتها التي تغمر أسواقها الداخلية، حيث ذكر علي محجوبي أن الاقتصاد الرأسمالي ضاقت عنه حدود أوروبا الغربية عندما بلغ مستوى معين من التطور، وهذا ما يتجلى واضحا في تصريح **"جول فيري "**قائلا: **"أن تأسيس مستعمرة هو بمثابة خلق سوق"**.

[1] علي محجوبي: المرجع السابق، ص25.

[2] **قناة السويس**: أنشأها الفرنسي فرديناند دي لسبس، وتم افتتاحها عام 1869م، ويصل طولها 193كلم بدءا من بورسعيد شمالا حتى بور توفيق جنوبا. ينظر: يحي محمد نبهان: **معجم مصطلحات التاريخ**، ط1، دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن، ص208، ص223.

- قلة نسبة الأرباح لفرنسا وخاصة خلال فترة الثورة الصناعية حيث كانت آفاق الاستثمار محدودة جدا، مما أدى إلى البحث عن مجالات وفروع لاستثمار رؤوس أموالها، خاصة وأن مجالا لاستثمار لرؤوس الأموال في أوروبا عامة وفرنسا خاصة لم يكن مثمرا وذا نتيجة وهذا سنة**1873م**.
- كانت الأراضي التونسية تنتج حاصلات زراعية تسيل لعاب الاستعمار الأوروبي الذي كان يسعى وراء الأراضي الخصبة أينما وجدت.[1]
- ساعد التنافس القائم بين الدول الأوروبية نتيجة لتطور الإنتاج الرأسمالي و الحاجة إلى فتح الأسواق للبيع التي أنتجتها الصناعة المتطورة فيها إلى توجيه أنظارها إلى تونس، ومما زاد الوضع تأزما هو تقلص الأسواق الخارجية إذ فرضت البلدان الأوروبية الأخرى حواجز جمركية لحماية صناعتها الفتية من مزاحمة الصناعات الفرنسية، و قد نتج عن هذا الوضع الاقتصادي أزمة اجتماعية أدت إلى انتشار البطالة جراء انخفاض الأجور، أما الشرط الذي مكن القوى الأوروبية من تحقيق طموحاتها التوسعية هو التطور التقني والعلمي الذي أسس لقوة أوروبا الحربية مناعتها العسكرية.[2]

2- احتلال لتونس وإعلان الحماية الفرنسية عليها.

قام "**جول فيري**" في **4**أفريل**1881**بإعلام البرلمان الفرنسي بأنه سيقوم بحملة عسكرية على تونس ولابد من تخصيص مبلغ مالي لأجل القيام بذلك بحجة ردع القبائل، فلما وصل الخبر إلى الباي بتجهيزات فرنسا لحملة ضد تونس سعى إلى إرسال الاحتجاجات إلى الدول الأوروبية لحماية رعاياها في تونس معلنا بذلك عن احتلال تونس دون سابق إنذار، فعمل الباي ببعث برقيات إلى السلطان العثماني يناجيه أن ينقذ تونس، حيث ردد الباي في قوله :"**لقد وضعت مصيري ومصير الولاية بأيدي الصدر الأعظم و السلطان، إننا نسترحم باسم الإنسانية المساعدة من جلالتكم**".

تجلى موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على تونس بعقد مجلس وزاري اقترح معاقبة الباي للجناة، وعلى الرغم من مقترحات المجلس الوزاري التي سعت إلى تسوية الأمور عملت

[1] علي محجوبي: المرجع السابق، ص26، ص29.

[2] محمد عصفور سلمان: المرجع السابق، ص5.

السلطات الفرنسية على ضرب تلك المقترحات ولم تولها أية أهمية، وفي يوم**24**أفريل**1881**تسربت كتيبة فرنسية متجهة نحو تونس بقيادة الجنرال "**لجيرو**" فاحتلت مدينة **الكاف** في **26**أفريل و**سوق الأربعاء** و**عين دراهم** فيما بعد.[1]وفي نفس الوقت قامت وحدة أخرى بقيادة "**فورجيمول**" باحتلال **طبَرقة** بعد أن تم قصفها بالقنابل، وفي الفاتح من ماي استسلمت "**بنزرت**" بدون عناء ولا مقاومة تذكر، حيث زحف الجنرال "**بريار**" على مدينة تونس بوحدة بلغ عددها **8000**جندي[2]،وتم محاصرة المدينة لإبراز مدى قوة الجيش الفرنسي الذي بلغ تعداده **35000**عسكري أمام جيش الباي الذي كان يعاني قدم أسلحته و قلة عدده، ولذلك أمرت الحكومة التونسية جيشها بعدم التعرض للجيش الفرنسي ومواجهته، لأن النتيجة كانت محسومة مسبقا و الباي كان على دراية بها، ثم بدأت سلطات الاحتلال الفرنسي تنفذ سياستها الاستعمارية كما فعلت مع الجزائر، وفي **12**ماي عرض الجنرال "**بريار**" تونس على **محمد الصادق** توقيع معاهدة "**قصر السعيد**"، أو ما تسمى بمعاهدة "**الباردو**".[3]

توقيع معاهدة الباردو 1881م

في **12**ماي **1881م** قدّم القنصل العام الفرنسي بتونس إلى الباي "**محمد الصادق**" نسخة من معاهدة الحماية على الساعة الرابعة مساءا، وأمهله أربع ساعات فقط للمصادقة عليها، وفي حال الرفض أخبره أنه سيتم عزله ويتم تنصيب أخيه "**الطيب باي**" بدلا عنه، وباجتماع الباي بمجلس الدولة، اختلفت الآراء بين معارض ومؤيد حول توقيع المعاهدة حيث تبنى أصحاب الموقف الرسمي فكرة توقيع المعاهدة و إلحاق تونس بفرنسا بسبب الأزمة المالية، وقد ظهر موقف معارض داخل

[1] أسماء بوصري، ضاوية حفصاوي: **المقاومة الشعبية المسلحة في تونس ونتائجها (1881-1907م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ،2015-2016م، ص11.

[2] شاوش حباسي: (**فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد الفعل التونسي 1881–1883م**)، مجلة دراسات التاريخية، ع8، الجزائر،1994، ص96.

[3] الشيباني بن بلغيث: المرجع السابق، ص214.

المجلس تبناه "**العربي زروق**"[1] الذي دعا الباي إلى عدم الاستسلام والانتقال إلى العاصمة وإعلان المقاومة [2]،وفي الأخير لم يقبل الباي ما ذهب اليه "**العربي زروق**"، و أزاحه من منصبه، أما العلماء فكان موقفهم مساندا للباي نتيجة الوضع الذي يستوجب إلحاق تونس بفرنسا [3]،وأما السكان فرفضوا الحماية، و تمثل رفضهم في المقاومات الشعبية لاسيما أثناء الدخول الفرنسي سنة **1881**م، ورغم تعالي أصوات المعارضة داخل مجلس الدولة قرر الباي في الأخير إلغاء الاجتماع والتوقيع على معاهدة الحماية.

كان ممثلو الاستعمار في غرفة مجاورة للحجرة التي اجتمع فيها الباي مع رجاله، ينتظرون الرد، وعلى الساعة الثامنة مساء وقع الباي على معاهدة الحماية، ومنه فقدت تونس سيادتها.[4]

وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة "**باردو**" أو "**قصر السعيد**"، وقد اشتملت على مجموعة من البنود[5]، يمكن إيجازها على سبيل الاختصار فيما يلي:

- الاحتلال الفرنسي لتونس إنما هو احتلال مؤقت يزول متى اتفقت السلطتان العسكريتان الفرنسية والتونسية على أن الأمن استتب في البلاد.
- فرنسا ملزمة بحماية الباي وأسرته.
- ينوب عن فرنسا وزير مقيم يراقب تنفيذ ما تضمنته المعاهدة.

ويتمثل دور المقيم العام الفرنسي في حكم تونس حكما غير مباشر بواسطة السلطات التقليدية التونسية بإبقائهم في مناصبهم الإدارية لكنهم يخضعون لمراقبة المراقب العام، أما الدفاع والعلاقات التونسية الخارجية فقد انتقلت مباشرة إلى سلطة الحماية[6].

---

[1] **العربي زروق**:(**1832-1902م**): رئيس بلدية تونس ومدير المدرسة الصادقية، رفض نظام الحماية الفرنسية على تونس. ينظر: الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص24.

[2] طاهر عبد الله: **الحركة الوطنية رؤية شعبية قومية جديدة(1830-1986)**،ط2، دار المعارف للنشر والتوزيع، تونس،1990، ص24.

[3] أسماء بوصري: مرجع سابق، ص13.

[4] شاوش حباسي: مرجع سابق، ص 96.

[5] يونس درمونة: **تونس بين الاتجاهات**، دط، دار الكتاب العربي، مصر ،1953، ص27.

[6] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، المرجع السابق، ط3، سراس للنشر، تونس 1993، ص100.

ولم يبق للباي إلا سلطة رمزية فقط[1]، والملاحظ في هذه الاتفاقية أنه لم يذكر مصطلح الحماية في أي بند من البنود.

المبحث الثاني: ردود الفعل الأولية المحلية (الداخلية)

أولا–المقاومة في الجنوب:

بالرغم من سيطرة الاستعمار الفرنسي على كل ما تملكه تونس تقريبا فإن الشعب التونسي لم يرضخ للمذلة والمهانة بل قاوم بالسلاح وواحه العدو الفرنسي، حيث تراجع علي بن خليفة مع رجاله واستقروا بالوادي وكانت مدينة قابس تتشكل من قريتين "المنزل" و"الجارة" وقد أظهر أهالي "المنزل" الرغبة في الاستمرار في المقاومة إلى النهاية، أما سكان "جارة" فكانت رغبتهم أقل من ذلك[2]،ولقد كان أهالي الجنوب يترصدون قدوم الأسطول الفرنسي إلى قريتهم وصدق شكهم، ففي **21**جويلية **1881**رست الباخرة الفرنسية الحربية بهذه القرية، وقد طالب قائدها تفسيرا للأهالي إزاء قواته المحتلة، حيث عقد اجتماع في دار خليفة بالمنزل، حضر فيه القاضي والمفتي و كذلك أعيان "جارة" يأتي في مقدمتهم "الحاج أحمد بن جراد" وكيل جمعية الأحباس، ودعا هذا الأخير للخضوع إلى قوات الفرنسية باسم الواقعية، علما أن هذا الاقتراح لم يلق لاحبا و لا قبولا، وهذا ما زاد من رغبة المجاهدين في مواصلة المقاومات، ومما قوى شوكتهم هو وصول خبر لهم مفاده أن الجيش العثماني قد نزل طرابلس وسيحل في القريب العاجل على "قابس".[3]

وصل الأسطول الفرنسي إلى قابس و رسى بميناء المدينة فاستقبله سكان "جارة" برحب وحفاوة، وفي **24**جويلية**1881**بدأ سكان "المنزل" بالقصف بالمدافع، ولكن ذلك لم يمنع من اكتساح المقاومين بطحاء لسوق بجارة، حيث دارت معركة بينهم جعلت الفرنسيين يعودون إلى الشاطئ، وبعد

---

[1] علي محجوبي: **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، المرجع السابق، ص30.

[2] أحمد القصاب: **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)**، تع حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس ،1986، ص32.

[3] علي محجوبي: المرجع السابق، ص50.

يومين من كل هذا أعاد الأسطول المحاولة و ظفروا "بجارة"[1]،ومع ذلك صمد المقاومين مدة تقدر بحوالي أربعة أشهر من الهجوم المتواصل على الفرنسيين الذين تمركزوا بالقرية حيث لم تتمكن فرنسا من التحكم في الوضع و السيطرة على هذه القرية إلا في شهر نوفمبر **1881**، أما قفصة فقد اتفق أهلها على ضرورة المقاومة، فقد كان للجنود دور مهم إلا أنهم لم يتمكنوا من التغلب على ضباط البرج الذي يقف مواليا للدولة ولم يقدم يد العون للمقاومين بالرغم من أنه اتهمهم بالاتفاق مع الفرنسيين لدخول المدينة، حيث يعتبر "الشاوشي إسماعيل بن محمد" والملازم "محمد بن أحمد" و "الصاغ عثمان"، من أهم الضباط المشاركين في هذه المقاومة، بالإضافة إلى المفتي والقاضي والأعيان.

والجدير بالذكر هو أن المقاومة المسلحة للاحتلال الفرنسي كانت منبثقة من سكان الريف والجبال وسكان القرى بالدرجة الأولى وذلك لحبهم في الدفاع عن أراضيهم ولم يتوقفوا عن القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر عظيمة، ورغم الطابع القبلي للكفاح المسلح إلا أن روح التضامن كانت تحد من مشاعر الأهالي للدفاع عن أرض الوطن بعد استسلام الباي وأتباعه، أما سكان مدينة "القيروان" و "باجا" و "بنزرت" وغيرها، استسلموا للقوات دون حتى التفكير بالتصدي لهم و مقاومتهم و حماية أراضيهم، وفي تونس العاصمة كانت جهود "العربي زروق" الوحيدة التي تستحق الذكر[2]،أما سكان المدن فشهدوا حالة خمول وفشل أمام القوات الفرنسية المحتلة، فطبقة الحضر لا تريد الدخول في صراع غير متوازن مع قوات الاحتلال حتى لا تتعرض ممتلكاتها ومصالحها للخطر، فقد كانت قلة التوازن بين قوة القبائل والطاقة العسكرية الفرنسية سببا في فشل المقاومة التونسية، لأنها اعتمدت في رد فعلها على قواها الذاتية فقط فالحركة الوطنية التونسية اشتعلت نارها لمدة قصيرة في بداية **(1881-1882)** ثم توالت الانتفاضة صمت طويل لمدة ربع قرن تقريبا، حيث تكونت المقاومة على أسس جديدة.[3]

[1] الشيباني بنبلغيث: مرجع سابق، ص220.

[2] علي محجوبي: المرجع السابق، ص56.

[3] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص111.

أما بخصوص مدينة صفاقس وهي إحدى قلاع المقاومة الصلبة منذ بداية الاحتلال، ففي شهر جوان**1881**، كانت تدور شائعات حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من الأراضي التونسية، إضافة إلى الاضطرابات التي قام بها عامة السكان بالاشتراك مع جمع من قبيلة "المثاليث" حيث أرست باخرة "الشكال" الفرنسية بصفاقس في **27**جوان**1881**بغرض حماية الأوروبيين من غضب الأهالي وحماية المدينة[1]،وقد أدى هذا إلى ظهور غضبة عارمة أوساط السكان، وفي يوم **28**جوان هاجموا بمساعد "المثاليث" قنصلية فرنسا وأطاحوا بالعلم الفرنسي، كما ضربوا نائب القنصل الفرنسي[2]، وهاجموا ممثل الباي "حسونة الجلولي" عامل صفاقس ولم يعترفوا بسلطته، فقد تأسست لجنة الدفاع بقياد "محمد الشريف "تضم **50**عضوا بمساعدة الشيخ "محمد كمون"[3]،والتف حولهم الكثير من الأعراب وساندوهم بتعزيز المقاومة، فعند وصول "علي بن خليفة " إلى صفاقس بداية شهر جويلية التف حوله عدد كبير من السكان، باعتباره الرجل الوحيد القادر على حماية السكان وأملاكهم من النهب، كما عرفت عليه مسائل لجنة الدفاع العويصة، وبفضل الدعم الذي لقيه من قبائل "نفات" و "المثاليث"، أصبح القائد الفعلي للمدينة واعترف السكان به وبسلطته.

فرض الحصار على المدينة بالتعاون بين الدول الأوروبية الكبرى فأرسلت هذه الدول سفنها المسلحة لقذف الميناء والمدينة بالقنابل، إلا أن البواخر الأوروبية اضطرت إلى البقاء بعيدا على السواحل التي كانت غير صالحة لإرساء السفن، كما أن قذف مدينة بالقنابل لم يأت بنتيجة تذكر، بسبب أسوارها الشاهقة وأبراجها المحصنة، فلم تزعزع المقاومة هناك[4]، حيث اشتدت شرارة الثورة وهب السكان يدافعون بشراسة مما صعب الأمور للسكان أمام هجمات العدو المتكررة.

---

[1] علي محجوبي: المرجع السابق، ص48.

[2] الشيباني بنبلغيت: المرجع السابق، ص219.

[3] **محمد كمون (1827-1901م)**: من أبناء مدينة صفاقس شارك في معركة صفاقس، هاجر إلى طرابلس رفقة عائلته إثر كارثة الوضع. ينظر: أسماء البوصري: مرجع سابق، ص36.

[4] عبد العزيز الثعالبي: **تونس الشهيدة**، تق: سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت ،1960، ص6.

واصل الأسطول الفرنسي في قصف المدينة وتبع احتلالهم لصفاقس احتلال مدن أخرى مثل : "سوسة "في **11**سبتمبر، وفي **السادس** من أكتوبر احتلت قفصة، و كان التونسيون يشد ساعدهم في الشعور بشخصيتهم الروحية و القومية مما زاد من صمود مقاومتهم أمام الهجمات الفرنسية، ولكن ليس كثيرا، حيث كان بطش المحتل شرسا عنيفا[1]،وقد بلغ زحف الأسطول الفرنسي قوته يوم 14 جويلية حيث ضم 17 سفينة حربية و 6000جندي،فسقطت مدينة صفاقس يوم 16جويلية 1881[2]،وهكذا أسهمت مدينة صفاقس في الكفاح المسلح ضد الاحتلال فلم تتوقف إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة بسبب امتلاك فرنسا للأسلحة العصرية و المتطورة، وعلى الرغم من الطابع القبلي للكفاح إلا أن روح التضامن وشعور القومية كان قائما.

ثانيا– المقاومة في الوسط والساحل

امتدت المقاومة التونسية إلى الوسط والساحل، حيث وصلت أعمال القبائل بالوسط إلى خواص العاصمة وضمت حوالي 500فارس من"جلاص"و2000جندي من المشاة التابعين لعلي بن خليفة، وقاموا بهجمات على بعض الضيعات الفرنسية بتاريخ17جويلية 1881م، وبعد مرحلة التعبئة مر المقاومون إلى العمل على منع جيش الاحتلال من التقدم، وفي الخامس من شهر أوت توجه عدد كبير من قبيلة "جلاص" من مدينة "القيروان" نحو الشمال، حيث فتكوا بضواحي باردو على قطيع الإبل الذي يملكه الباي، حيث انظم إليهم عدد كبير من الجنود النظاميين الذين فروا من جيش الباي للدفاع عن بلادهم، وقد نشط هؤلاء الجنود في أربعة مراكز للمقاومة بالقلعة الكبرى وجمال و قصور السلف يقودها تبعا الى "الساسي سويلم" و "الحاج علي بن خديجة"، و قد برز جنود القلعة بصفة خاصة في معركة الأربعين التي استشهد فيها "الساسي سويلم"، وكانت نتيجة المقاومة هناك عرقلة لزحف القوات الفرنسية داخل البلاد، كاد السلطان عبد الحميد الثاني أن يقوم بنشاط ما حتى يبقى

[1] محمد علي داهش: **دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي المعاصر**، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014، ص37.

[2] علي محجوبي: المرجع السابق، ص48، ص56.

تأثيره على مسلمي شمال إفريقيا متواصلا، ولكن السبيل كيف؟ فالدولة العثمانية التي شهدت العديد من المعارك تعاني من المشاكل السياسية،[2] علاوة على ذلك إفلاسها وإحاطتها بجيران أعداء ينتظرون الفرصة للفتك بها والقضاء عليها نهائيا وجعلها غير قادرة على مواجهة الأطماع الفرنسية أثناء احتلال تونس سياسيا وعسكريا، وكرد فعل على هذه الأعمال أوقف الجنرال "**صاباتييه**" خمسة عشر من أعيان زغوان كرهائن، وفرضت غرامة تقدر ب 200قفير من الشعير، و100 رأس بقر، و200خروف على سكان مدينة "زغوان" اللذين اتهمهم بالتواطؤ مع المقاومين واشترط تسليم الغرامة في ظرف 48ساعة مهددا بقتل الرهائن، وهذا ما أجبر المقاومون بالتخلي عن طريقة الهجوم المباشر لعدم قدرتهم على مواجهة القوات الفرنسية، التي تفوقوهم عددا وعدة، وانصرفوا إلى مراقبة المسالك التي تؤدي إلى القيروان لمنع الاستعمار من التقدم نحوها، فتمركزت قوات "جلاص" بقيادة الحاج حسين بن مسعى في طريق الرابط بين "زغوان" و "القيروان"، واستمرت قوات" علي بن عمارة "بين "سوسة" و "القيروان". وضع الفرنسيين خطة خاصة للسيطرة على القيروان نظرا لإدراكهم للأهمية التي تحملها هذه المدينة ومكانتها في نفوس المسلمين إضافة إلى أنها مركز تجمع القبائل التي تعاهدت على الاستمرار في الثورة ضدهم، وكانت الخطة تقتضي دخول المدينة من ثلاث جهات تمثلت في: فرقة تحركت من "زغوان"، فرقة جاءت من "سوسة" بعد قمعها لثوار القلعة الصغرى، جاءت من الغرب تجمعت وحدتها في الجزائر بالتبسة، ولكن المقاومة استسلمت في أكتوبر1881م، فلم تحاول الصمود في وجه المستعمر بسبب خسارة الكثير من مواقع التي كانت تمثل خط حماية "القيروان"، فبعد أن تمت السيطرة على "القيروان" تفرق رجال المقاومة و تشتتوا، فواصل بعضهم الكفاح والتحقوا "بعلي بن خليفة" في الجنوب، في حين خضع أغبهم لقوات الاحتلال الفرنسي،[1] أما البعض الآخر فهاجر إلى طرابلس متأملين تدخل الدولة العثمانية إلا أن آمالهم باءت بالفشل والإحباط، وهكذا فلم يصمد في وجه المستعمر سوى "علي بن خليفة" وبعض أتباعه إلى أن وافته المنية سنة 1884م، حيث كان موته بمثابة إعلان بانتهاء المقاومة ورضوخ كامل الإيالة للهيمنة الفرنسية، وعليه فإن من أسباب استسلام

[1] الشيباني بنبلغيت :نفسه، ص 222.

القيروان بتاريخ 26أكتوبر 1881م، يعود إلى "محمد المقداد المرابط"[1]،الذي كان يدعم قوات المحتل، فهو المسؤول الأول و الوحيد عن سقوط المدينة، وما زاد الطين بلة هو إشاعة خبر احتلال "الكاف"، وقد عمل "محمد المرابط" على سجن كبار تجار "القيروان" حتى لا ينظموا إلى المقاومة، و أجبر السكان على الاستسلام.[2]

ثالثا– المقاومة في الشمال

بعد سيطرة القوات الفرنسية على تونس إثر المعاهدة المفروضة على الباي في 12ماي 1881م، أصبحت تونس بموجبها محمية فرنسية، لا يحق لأي دولة أجنبية التدخل في شؤونها، وبعد خضوع الباي الذي كان صاحب السلطة في البلاد، أصبحت مهمة فرنسا السيطرة على تونس يسيرة، حيث قام جيشه بالوقوف إلى جانب المحلة الفرنسية ضد المقاومين، وقد عبر السكان التونسيون عن رفضهم للاحتلال بالمقاومة المسلحة التي بدان كفاحها من أول يوم لتعيق تقدم الجيش الفرنسي الذي كان في طريقه للتوغل برا وبحرا، وقد عرفت المقاومة التي تعتبر كرد فعل طبيعي للشعب التونسي انتشارا سريعا عبر البلاد فكانت في الجنوب والوسط والشمال، حيث جاءت الانطلاقة الحقيقية للمقاومة البارزة بشكل عملي بعد أن عقد اجتماع 15جوان1881م،وضم القبائل الرافضة للاحتلال[3]،وكان برئاسة "علي بن خليفة"[4]،في جامع عقبة بن نافع بالقيروان[1]،وقد عبر الحاضرون عن مواصلة الكفاح للنهاية وقرروا ربط صلات و علاقات مع حكومة طرابلس وأوفدوا إليها عددا من المبعوثين.

[1] **محمد المقداد المرابط:** عزل من منصبه من طرف أحمد باي وصودرت أملاكه، ثم أعاده الصادق باي إلى منصبه. ينظر، محمد الطويلي: **دراسات عن الحركة الإصلاحية بتونس**، دط، سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992، ص76.

[2] نور الهدى قسمية: **الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولية (1881-1883م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر أكاديمي، شعبة تاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ،2017-2018م، ص44.

[3] الشيباني بنبلغيت: مرجع سابق، ص216.

[4] **علي بن خليفة (1807-1884م)**: من أبطال المقاومة التونسية من عرش نفات، أعلن الثورة ضد الباي والحماية خاض عدة حروب اهمها معركة صفاقس. ينظر: أسماء بوصري: **المرجع السابق**، ص23.

وكانت الهدف من مقاومة قبائل "بني خمير" وسكان الجبال عموما في شمال البلاد، وقد صرحت سلطات الاحتلال الفرنسي قائلة: **"إن أفراد هذه القبائل قد استماتوا في الدفاع طوال ساعات عديدة ولم يوقفوا القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة ".**

فلما انتشر خبر وصول السفن البحرية الفرنسية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون من "أولاد بوسعيد" و"الحوامدة" و"أولاد عمر" بقيادة شيوخهم لمقاومة الأعداء، مما عرقل القوات الفرنسية من الاستيلاء على المدينة في 26افريل1881إلا بعد قصفها، أما قبائل "بني خمير" فتصدت لكتيبة الجنرال الفرنسي **"فانسندون"** القادمة من الجزائر في 26أفريل من نفس السنة، وقد واصل الجنود الذين فروا من معسكر "علي باي "في 29افريل للدفاع عن موطنهم إثر احتلال سوق الأربعاء، مدعمين بذلك قبائل التالية : أولاد بوسالم ،الشباحية وعمدون، كما شهد سهل بوسالم في 30أفريل معركة عنيفة في منطقة بني بشير، أسفرت عن استشهاد حوالي 150تونسي وظهر خلال هذه المعركة تفوق قوات الفرنسية.[2]

تواصلت عمليات الاحتلال الفرنسي للمدن التونسية حيث في 8ماي سيطروا على "ناطر"و"باجا"في 20ماي وذلك بعد مقاومة قوية من طرف قبائل "مقعد" و"هذيل "،وهذا ما اعترفت به القوات الفرسية قائلة :"**إن قبيلة مقعد كانت برمتها في حالة عصيان في 12ماي و انتشرت أفرادها في سهل ماطر حيث التحق بهم متطوعون من هذيل** ..."،وبهذا لم تستطع القوات الفرنسية من السيطرة النهائية على الوضع حتى شهر جوان، حيث تمكنت من إخضاع تلك القبائل ،وهناك من سجن من هذه القبائل وهناك من أرغم على دفع غرامة حربية قدرت بحوالي 12.000فرنك،حيث كان الاتصال بين شيوخ القبائل المجاهدة منظما، حيث حاول كل من "علي بن خليفة" قائد "نفات"، و"الحاج علي حراث "شيخ أولاد وزاز فراشيش، و"أحمد بن يوسف" قائد

[1] **القيروان:** مدينة في وسط البلاد التونسية تبعد مسافة 156كلم عن مدينة تونس. ينظر: محمد الطالبي: **دائرة المعارف التونسية**، عدد خاص، بيت الحكمة تونسي، ص137.

[2] علي محجوبي: مرجع سابق، ص46

أولاد رضوان همامة، وآخرون ينسقون جهودهم و توحيد أعمالهم مكونين بذلك شبه مجلس قيادي لتسيير المقاومة فاتسعت رقعتها بسرعة و امتدت إلى قبائل أخرى، وفي هذه الظروف قبلت القبائل قيادة "علي بن خليفة" قائد نفات على رأس المقاومة[1]،شهدت هذه الحركة انتشارا واسعا منذ شهر جوان 1881م،وأصبح السكان يعيشون في حالة هيجان فاضطر أغلب القادة إلى الهروب إلى مدينة تونس خوف من وصفهم بالخونة، وكانت استراتيجية المقاومة تهدف إلى الوقوف في وجه الاحتلال

ومنعه من محاصرة صفاقس من جهة البحر، ومنع توغله داخل البلاد، ولهذا الغرض توجه "علي بن خليفة" إلى صفاقس لتنظيم صفوف المقاومة.[2]

حيث شكلت المحلة مشكل عويص أمام هذه المقاومة بعد إصرار وعزيمة الثوار، حيث كان عددهم في ازدياد متواصل، وشنوا هجومات على المحلتين الفرنسية ولكن التونسيين تغلبوا عليهم [3]، ونتيجة لذلك ومن جهة أخرى كانت الأصوات ترتفع و تنادي :"**إن الصادق باي باع الوطن للرومي ، فحملوا السلاح في وجهه ووجه أعوانه و طردوا الرومي من البلاد** "[4]، وهذا ما يؤكد أن المقاومين التونسيين كانوا يحاربون على جبهتين، جبهة الباي من جهة وجبهة العدو الفرنسي من جهة أخرى، وبالتالي فإن المقاومة في الشمال رفضت رفضا قاطعا وجود المحتل الفرنسي فواجهته بالند وذلك برفع السلاح مناديا بالجهاد والثورة.

المبحث الثالث: ردود الفعل الدولية(الخارجية)

أولا–رد فعل الدولة العثمانية

[1] نفسه، ص48.

[2] الشيباني بنبلغيت: مرجع السابق، ص217.

[3] أسماء بوصري: مرجع سابق، ص48.

[4] Rounard de card **: la Turquie et le protectorat français en tunisie, 1881-1913**, paris, 1916, p15.

عندما شاع خبر حشود القوات الفرنسية على الحدود التونسية طالب "عاصم باشا" وزير الخارجية العثماني من السفيرين العثمانيين، أسعد باشا في باريس وموسروس باشا في لندن، الحصول على معلومات حول الأحداث وأيضا وجهات نظر الحكومتين البريطانية والفرنسية بخصوص هذا، مع إرسال المبعوث من الباب العالي إلى روما لبيان موقفها.

وكانت الأخبار التي وصلت من لندن وباريس وروما تستبعد فكرة احتلال فرنسا لتونس، فلندن حملت تأييدا بعدم احتلال فرنسا لتونس، أما روما أثارت فكرة رد الفعل المشترك للحكومتين البريطانية والإيطالية أنهما لا تمانعان ارتباط الولاية التاريخي بالباب العالي[1]، وعليه يكون من اللائق أخذ المبادرة بدعوة باي تونس رسميا أن يعمل على إنزال عقاب بالمعتدين، وأن يرفع نسخة من هذا الأمر إلى الحكومة الفرنسية وإبلاغ الحكومة العثمانية بذلك لمواجهة الموقف الفرنسي.[2]

اجتمع مجلس الوزراء العثماني وتخذ قرارا نص على أن: "**الحكومة أبدت ارتياحها للإجراءات التي اتخذها باش تونس لمعاقبة المعتدين، ونصحه بالقيام بكل مساعيه لتلاقي كل ما من شأنه أن يثير شكاوى الحكومة الفرنسية، وأكد الباب العالي سلطته على الولاية و المحافظة على الامتيازات التي يتمتع بها بتونس حتى الآن** "[3]،و قد أصبح هذا القرار الوثيقة التي اعتمدتها الحكومة العثمانية خلال اتصالاتها الدبلوماسية مع حكومات الدول الكبرى الأوروبية لمنع التدخل الفرنسي في ولاية تونس العثمانية، وقد تبلغ وزير خارجية فرنسا بقرار مجلس الوزراء العثماني،

و الذي أبلغ بدوره حكومة إسطنبول في 11من شهر نيسان بأن الحكومة الفرنسية أرسلت قواتها على الحدود التونسية، ويطلب من الباي أن يتعاون معهم على معاقبة المعتديين، وأن الحكومة الفرنسية ليس لها نية الاحتلال مطلقا، وأن هدفها الوحيد هو الحصول على ضمانات مجدية لسلامة الحدود

[1] محمد عصفور سلمان: (**الحماية الفرنسية على تونس عام1881والموقف العثماني والأوروبي منها**)، كلية التربية للعلوم الإنسانية /مجلة ديالى /العدد56 ، ص6.

[2] Rounard do card **: la Turquie et le protectorat français en tunisice, 1881-1913,** op.cit,p21.

[3] عبد الرحمان تشانجي: **المسألة التونسية(1881–1913م)** ، تر عبد الجليل التميمي، تونس،1973، ص72.

الجزائرية و المحافظة على المصالح الفرنسية[1]،كما أن الوزير الفرنسي لم يعارض حق الباب العالي في ولاية تونس، ولكن بالمقابل رفض أي تبادل لوجهات النظر مع الحكومة العثمانية بخصوص المسائل التونسية ،علما أن الوزير الفرنسي اعترف بالجانب الروحي للعلاقات بين السلطان وتونس.[2]

لاحظ "أسعد باشا" السفير العثماني في باريس، أنه نتيجة لرد فعل هذ لم يبق للباب العالي غير الاحتجاج على سلوك الحكومة الفرنسية لدى بقية الدول الكبرى و لدى "**تيسو**" سفير فرنسا في إسطنبول [3]،وفعلا قد سلم ممثل الباب العالي قرار الحكومة العثمانية في الحادي عشر من شهر افريل سنة 1881م البالكونت "**مافي**"، مساعد وزير الخارجية الإيطالي الذي صرح بأن :"**الحكومة الإيطالية لا ترغب في غير المحافظة على الوضع القائم في تونس وأنه إذا كانت فرنسا تسعى للاستيلاء على التراب التونسي فإن إيطاليا سوف تعلن عليها الحرب لمنعها، ولكن ذلك من شأنه حتما أن يلحق مضرة كبيرة بالعلاقات القائمة بين الحكومتين.**"[4]

أما حكومات ألمانيا و النمسا و روسيا القيصرية فلم تكن الأخيرة تهتم بأمور تونس، في حين لم يرد سفير ألمانيا في إسطنبول ردا مرضيا على الحكومة العثمانية، أما سفير النمسا فلم يقابل ممثل الحكومة العثمانية[5]،وكان السفير البريطاني في إسطنبول قد بين أن الحكومة البريطانية ليس لها مصالح خاصة في تونس، لذلك فإنها ترى تدخلها سوف يؤدي إلى امتداد التنافس بمنطقة الشرق الأوسط[6]، وفي البرلمان البريطاني ردت الحكومة البريطانية على استفسارات النواب بقولها :"**إن الحكومة الفرنسية قد أعطت الضمان بأن عملياتها العسكرية سوف تنحصر بمعاقبة القبائل الواقعة على الحدود، وقدمت مثل هذا الضمان إلى السفير العثماني والإيطالي بباريس.**"

---

[1] Rymond Andre : **les libéraux anglais et la question ne (1880-1881)**, les cahiers de tunisice, 1955, p23.

[2] عبد الرحمان تشانجي: المصدر السابق، ص73.

[3] Rymond Andre :**les libéraux anglais et la question ne 1880-1881**, op.cit, p36.

[4] عبد الرحمان تشانجي: المصدر السابق، ص74.

[5] -نفسه، ص75.

[6] محمد عصفور سلمان: **الحماية الفرنسية على تونس عام1881والموقف العثماني والأوروبي منها**، المرجع السابق، ص7.

أما باي تونس "محمد الصادق" فقد كتب إلى رئيس الوزراء العثماني سعيد باشا (الصدر الأعظم)بما يلي :" **إن الحكومة التونسية قد أولت المسألة شيئا من الخطورة ودخول الجيش الفرنسي الأراضي التونسية سوف يؤدي بدون شك إلى اضطرابات خطيرة ،وذلك أن الأهالي المدفوعين بشعور وطني سوف يستنجدون بإخوانهم ، وهذا من شأنه أن يفسح المجال للجيش الفرنسي بالانتشار في البلاد و احتلالها، إننا نتوقع دخول الجيش الفرنسي من يوم لآخر، وقد جددت احتجاجي لدى قنصل فرنسا، واليوم أسارع بإعلام سموكم حتى تتخذوا الإجراءات التي يمكن أن تجنبنا المصائب، والوقت نفسه ترسمون لي خط السلوك ".**[1]

كان السلطان عبد الحميد الثاني يريد أن يقوم بنشاط ما حتى يبقى تأثيره على مسلمي شمال إفريقيا متواصلا، ولكن السبيل كيف؟ فالدولة العثمانية التي شهدت العديد من المعارك تعاني من المشاكل السياسية، علاوة على ذلك إفلاسها وإحاطتها بجيران أعداء ينتظرون الفرصة للفتك بها والقضاء عليها نهائيا، وجعلها غير قادرة على مواجهة الأطماع الفرنسية أثناء احتلال تونس سياسيا وعسكريا، وبعد وصول برقية باي تونس إلى إسطنبول تقرر عقد اجتماع مجلس الوزراء العثماني وذلك لأخذ القرار بالتفاوض مع فرنسا، وفي حالة رفضها يجب ضمان تأييد الدول الكبرى بحقوق الباب العالي في تونس ولكن الأحداث توالت بسرعة ووراء بعضها البعض، ففي 24من شهر نيسان 1881م اخترقت قوات من الجيش الفرنسي الأرض التونسية، واحتلت "الكاف" و "طبرقة".[2]وعليه استدعى عاصم باشا وزير الخارجية العثماني سفير دولته في باريس للعمل على مقابلة وزير الخارجية الفرنسي ومحادثته حول اقتراح التسوية الذي تقدم به الباب العالي، ومن جهة أخرى أعلم الباب العالي الحكومة البريطانية برغبتها في التفاهم مع فرنسا واقتراح عليها القيام بالتحقيق حول الظروف التي كانت سبب في الاعتداءات بعض أفراد من القبائل وختم الأعلام بطلب رأي مجلس الوزراء

[1] جمال الدين ساسي: العلاقات **التونسية الفرنسية وخلفيات الاحتلال (1839-1881م)**، المرجع السابق، ص 73.

[2] مقلاتي عبد الله: **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص69،

البريطاني الذي رد بأن :"**حكومة جلالة الملكة لا تعتقد أنها مدعوة لتقديم رأيها حول الاقتراح المذكور، الذي يبدو أن الأحداث قد حكمت عليه بالفشل** ."خاصة بعد تقدم الجيش الفرنسي في الأراضي التونسية للوصول إلى المبتغى المرجو تحقيقه، والذي لم يترك مجالا للشك بتدخل فرنسا الحقيقي. قامت فرنسا في التوغل داخل الأراضي التونسية فاحتلت مدينة "بنزرت" وقصفت مدينة طبرقة في 24افريل 1881 لم، لذا قررت الحكومة العثمانية مجددا مناشدة الدول الكبرى للعثور على مخرج عادل ومباشرة وساطتها في الخلاف العثماني الفرنسي، ولكن الأخبار التي وصلت إسطنبول من باي تونس أن وحدات الجيش الفرنسي قد توغلت في الأراضي التونسية وأنها قد وصلت مسافة مئة ميل من وسط البلاد. أرسل الباي رسالة أخرى إلى السلطان العثماني يوم 5 ماي 1881م، يناشده إغاثة تونس، ومنه فإن الاستنجاد بالدولة العثمانية لم يأت بنتيجة تذكر وذلك أن فرنسا لم تعلن عن عملها في تونس إلا بعد أن لمست أفكار أغلب الدول الكبرى فوجدتهم غير معارضين لها، أما الدولة العثمانية لم يكن في استطاعتها عمل شيء حاسم للتصدي للغزو الفرنسي ووقفت عاجزة مشلولة أمام غزو الجزائر من طرف فرنسا سنة 1830م. [1]

ثانيا–رد فعل دول المغرب العربي (الجزائر طرابلس الغرب)

أولا –الجزائر:

وقف الشعب الجزائري مؤيدا ومتضامنا تجاه قضايا الأقطار العربية خاصة القضية التونسية، فكان الجزائريون بمختلف فئاتهم وطبقاتهم الاجتماعية ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، رغم أن هذا الاحتلال كانت انطلاقته من الجزائر ، وقد كان الفرنسيين على علم بموقف الجزائر المؤيد القضية التونسية، ولهذا عمل الفرنسيين على إضعاف الجزائريين بشتى الوسائل قبل الشروع في احتلال تونس.[2]

[1] الشيباني بنبلغيت: مرجع سابق، ص214.

[2] يحي بوعزيز: (**دور تونس في دعم حركات التحرر في الجزائر وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1830**)، مجلة الثقافة، ع12،70جويلية، أوت 1982، ص50.

اعتقد الفرنسيون أن السياسة الزجرية القاسية التي مارستها على الجزائريين ستحول دون مشاركتهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي لتونس، لكن اعتقادهم لم يكن في محله حيث أعلن الجزائريون غضبهم وحملوا السلاح مع إخوانهم التونسيين في مختلف جبهات القتال والمقاومة على طول منطقة الحدود وفي أعماق البلاد التونسية وداخل الجزائر نفسها في إطار أشغال جزء من القوات الفرنسية بها وعرقلة الغازية منها داخل تونس، وخلال شهر أفريل1881م نظم الجزائريون العديد من القوافل التي كانت تحمل الأسلحة دعما لإخوانهم التونسيين ،كما قدم اللاجئون بالوقوف إلى جانب المقاومون التونسيون في مقاومتهم للمحتل الفرنسي جزيرة طبرقة، جبال الخمير، شتاته والفراشيش.[1]

كما ظهر دعاة جزائريون و تونسيون في واحات واد سوف و راحوا يحثون الناس على حمل السلاح لتقديم يد العون للمجاهدين التونسيين، فاضطرت السلطات الفرنسية إلى فرض مراقبة مشددة على مناطق الحدود وزرعت عملائها في الواحات الجنوبية للتصدي لهؤلاء الدعاة؛ يبدو لنا من خلال ما سبق ذكره أن الجزائر طوال عام 1881م،مثلت مسرحا للاضطرابات والقلاقل والعمليات العسكرية معبرين بذلك عن رفضهم للاحتلال الفرنسي لتونس العدو المشترك بينهم ، فشاركوا إخوانهم التونسيين في العمليات العسكرية المتعددة رغم قلة الإمكانيات، والسياسية الزجرية التي مارستها السلطة الاستعمارية الغاشمة دون أن ننسى وضعية الجزائر التي لم تكن تختلف عن وضع تونس وتزامن احتلالها مع قيام مقاومة الشيخ بوعمامة 1881م.[2]

ثانيا–طرابلس الغرب:

إن موقف الحكومة الطرابلسية لم يكن مختلفا عن الموقف الجزائري اتجاه الاحتلال الفرنسي لتونس، ففي الوقت الذي كان الشعب الجزائري يعبر عن رفضه للاحتلال حدثت مظاهرات في

[1] جميلة غريزي، لامية بن عمر: **قضايا تونس وتضامن الجزائريين معها من خلال جريدة المنار الجزائرية (1951-1954)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة 2016-2017، ص75.

[2] نور الهدى قسيمية: **الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الدولية**، مرجع سابق، ص53.

طرابلس رافضة هي الأخرى للتواجد الفرنسي لتونس و فرض حمايتها عليها [1]،حيث قرر قادة المقاومة التونسية ربط صلات مستمرة مع حكومة طرابلس وأوفدوا إليها عددا من المبعوثين معلنين خروجهم عن طاعة الباي [2]،فلقد كان نجاح المقاومة التونسية مرهون بتخل الحكومة الطرابلسية، حيث عملت هذه الأخيرة على فتح المنافذ البرية في وجه المقاومين بعد تشتت المقاومة في تونس، وبهذا انتقل الثوار إلى مركز النفوذ العثماني التي يمكن للقتال أن ينطلق منها على أسس جديدة [3]،سببت هجرة الثوار إلى طرابلس قلق كبير لدى الحكومة الفرنسية والتي عملت على إضعاف حركة المقاومة في البلاد التونسية، كما وسعت على توزيع منشورات على المهاجرين وتحريضهم بواسطة الباي على الرجوع إلى أوطانهم، حيث تمكن **"فيرو"** قنصل فرنسا من إرغام أخ "علي بن خليفة محمد بن صالح" الذي قبل التخلي عن المقاومة مقابل بعض الامتيازات.[4]

ثالثا–رد فعل الدول الأوروبية

لقد كان موقف الدول الأوروبية بالنسبة للاحتلال الفرنسي لتونس تحت اسم الحماية مخيبا لآمال حكومة إسطنبول، حيث أن ألمانيا لم تحرك ساكنا ولم تبدي رئيا صريحا حيث كان **"بسمارك"** سعيدا جدا لأن فرنسا قامت بعمل يلهيها عنه ويلهيه هو عنها[5]، وفي فيينا لم يجد ممثل الحكومة العثمانية نجاحا يذكر، في حين أن إيطاليا أصيبت بخيبة أمل قوية للاعتداء الفرنسي، حيث قررت عدم التصرف بمفردها بخصوص هذه المسألة التي هي محل اهتمام الدول الكبرى خاصة بريطانيا. أما الموقف الروسي فقد كان مؤيدا للدولة العثمانية، مع تحفظها في اتخاذ أي قرار، لأنها أرادت أن تكون صديقة لفرنسا، ولكنها من جهة أخرى أيدت استعدادها لمناقشة الموضوع إذا أيدت إحدى الدول المبادرة. لقد كان هناك تناقض بين ممثلي حكومات الدول الكبرى فروسيا لا ترى في تبنيها مبادة

[1] رأفت الشيخ: **تاريخ العرب المعاصر**، دط، دار الدراسات والبحوث الإنسانية،1996 ، ص142.

[2] أحمد القصاب: المرجع سابق، ص26.

[3] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص112.

[4] علي محجوبي: المرجع السابق، ص26.

[5] محمد عصفور سلمان: **الحماية الفرنسية على تونس عام 1881والموقف العثماني والأوروبي منها**، المرجع السابق، ص9.

الوساطة، إلا أنها مستعدة أن تقدم مساعدتها إذا أخذت المبادرة دولة كبرى قوية لها مصالحها في المنطقة كإيطاليا أو بريطانيا، في حين أن ألمانيا والنمسا لم تبد أي اهتمام بالمالية التونسية، وبهذا تركت فرنسا بمفردها لتحقق ما رسمت له في احتلال تونس والاستيلاء عليها.[1]

قرر رئيس وزراء بريطانيا التفاهم مع ممثلي الدول الأوروبية للوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف، ولكن فرنسا كانت قد خرجت بقرارات لفرض حمايتها على تونس، لذلك قررت الحكومة البريطانية أنها لن تتبنى الخطوة الأولى للمبادرة السياسية مع الدول الكبرى، وبرفض بريطانيا أخذ المبادرة السياسية لدى الدول الكبرى الموقعة على معاهدة "برلين" لتسوية المشكلة التونسية، فقد الباب العالي أمله الوحيد في قطع الطريق على فرنسا، وذلك بمنعها من احتلال تونس وفرض الحماية عليها، وكان لفرنسا ذلك حيث ظفرت بمرادها وأرغمت الباي بتوقيع معاهدة الباردو 12ماي 1881م، مع العلم أن برلين أعلنت عن استلام نص الاحتجاج وفيينا لم يتغير موقفها، فقد احتفظ وزير النمسا بصمته منذ بداية الأزمة التونسية، أما روما فقد صرح وزير الشؤون الخارجية الإيطالي أنه :"**نظرا لعدم الاهتمام الذي أظهرته بقية الدول الكبرى و خاصة المساندة الرسمية التي منحتها ألمانيا لفرنسا في هذه المسألة فإنه من المستحيل على الحكومة الإيطالية أن تخرج من موقفها المحافظ الذي فرضته عليها الملابسات الحالية** ."أما بريطانيا فقد دخلت في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية للحصول على التزامات تضمن المصالح البريطانية، ولكن الحكومة البريطانية من جهة أخرى تجنبت إعطاء رد كتابي لنص الاحتجاج العثماني حتى 18 حزيران 1881م، وبهذا فرضت فرنسا حمايتها على تونس بالقوة بالرغم من احتجاج الحكومة العثمانية ومعارضة باي تون، وتأييد بعض الدول الكبرى للحماية الفرنسية.[2]

[1] عبد الرحمان تشانجي: المصدر السابق، ص99.

[2] محمد عصفور سلمان: **الحماية الفرنسية على تونس عام1881والموقف العثماني والأوروبي منها**، المرجع السابق، ص12.

إمضاء الباي محمد الصادق على معاهدة الاستسلام لم يكن خياره الوحيد ولكن يمكن أن نقول ضعف شخصيته كسابقيه لأن رجال إيالته اقترحوا عليه عدم الرضوخ وتعبئة أوساط الشعب التونسي على المقاومة، كما أن التهديد بعزله وتنصيب أخيه مكانه إن لم يوقع المعاهدة، ليس بالمبرر الكافي للرضوخ ولكن نظرته الأنانية وحبه لمكانته وللسلطة أرغمته على الإمضاء وتسليم مفاتيح تونس لفرنسا دون مقاومة منه.

الخاتمة

الخاتمة:

أما وقد فرغت بحمد الله وتوفيقه من إتمام هذه المذكرة، فلا بد من عرض نتائج عامة على ضوء ما توصلت إليه من دراسة وبحث علها تفي بالجواب عن الإشكالية حقه. وتتمثل هذه النتائج فيما يلي:

- ظلت تونس إيالة عثمانية، لأنها ترتبط معها برابط الدين الإسلامي بالرغم من محاولات بايات الأسرة الحسينية من الانفصال عنها.
- إن العلاقات التونسية الفرنسية لم تظهر فقط خلال القرن السادس أو السابع أو الثامن أو التاسع عشر، لا بل إن العلاقات بين تونس وفرنسا كانت قائمة منذ زمن بعيد، إلا أنها ظهرت بشكل أوضح وأعمق في فترة **1830-1881م**، وذلك نتيجة للأحداث والوقائع التي حدثت بين البلدين، فتارة تكون علاقة ودية، وتارة أخرى عدائية، وأخرى مصلحية.
- كان الباي بين الفترة والأخرى يقوم بزيارات متكررة لفرنسا إذ تأثروا بمظاهر الحضارة هناك، فأراد هؤلاء البايات تطبيقها وتجسيدها في تونس، حيث أنهم (البايات) حاولوا من خلال هذه المبادرة النهوض والقيام ببلادهم بنيّة حسنة سليمة، ولكن ما لم يكن في المتوقع هو السبيل أو الوسيلة للقيام بالإصلاحات.
- عندما فكر البايات التونسيون القيام بإنعاش الحضارة تناسوا مدى تحمل مالية الإيالة التونسية أعباء هذا التغير بسبب قلة الخبرة، بالرغم من أن تفكير البايات هو ما كان يحتاج للإصلاح ليتحقق بذلك التسيير الحسن للأمور و الاهتمام بشؤون الرعية التونسيين، فبدلا من التخطيط لانطلاقة جديدة والنهوض بالبلد نحو الرقي والازدهار ولمستقبل حضاري واعد، قاموا بمحاولة عشوائية غير مدروسة، والتي ساهمت في تدهور الأوضاع الاقتصادية وتأزم الوضع المالي، و تقهقر وضع الخزينة في تونس، بل ومكنوا فرنسا منهم حتى توغلت في تونس بحجة الحماية، وأنها ستتراجع بمجرد استقرار الأوضاع هناك و تضمن سلامة أمنها و كذا وقايتها من الدول الأوروبية الأخرى وخاصة بريطانيا و إيطاليا.

- ترجع العلاقات التونسية الفرنسية إلى عهود بعيدة، وذلك بفضل المعاهدات التي وقعها السلطان **سليمان القانوني** مع فرنسا، هذه الأخيرة التي تمكنت من الحصول على امتيازات في شتى المجالات، حيث كانت هذه المعاهدات مع فرنسا تتجدد، فتضاف بنود ويتم إلغاء أخرى وهكذا، فتنوعت العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتباينت أوضاعها بين الحين والآخر.
- تمكنت فرنسا من خلال علاقاتها مع تونس في الفترة الممتدة من **1830-1881م**، من أن تلعب دور الدرع الواقي لمصالح تونس أكثر من أية دولة أجنبية أوروبية أخرى، بل وحتى من الدولة العثمانية في حد ذاتها، فكانت تظهر العلاقات الودية التي تملؤها المصالح الشخصية، فالنوايا الباطنية الخفية كانت أعظم وأكبر من ذلك بكثير.
- لقد كانت فرنسا تترصد الفرص وتعمل على تحقيق خلفيات سياسية كانت دفينة منذ احتلال الجزائر سنة **1830م**، فأرادت بذلك تحقيق مطامعها ومطامحها الاستعمارية في كافة الشمال الإفريقي وذلك للاستيلاء على تونس أيضا، ومن ثمة ستزيد توسعاتها إلى أعماق قارة إفريقيا وتصبح بذلك قوة عظمى تهابها الدول الأوروبية الأخرى.
- بالرغم من أن الأوضاع الاقتصادية عرفت تراجعا ملحوظا إلا أن البايات كانوا يحاولون الوصول إلى مبتغاهم بالقيام بحضارة جديدة راقية في تونس، فقرروا هنا اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق ذلك، دون أي نتيجة تذكر، فلجأت الإيالة إلى طلب يد العون والاستدانة بكثرة مما دفع بها إلى عدم القدرة على إرجاع دينها بعد ذلك تحت رحمة الدول الأوروبية عامة وفرنسا بشكل خاص.
- و قد لاحظنا أن فرنسا كانت ترمي لتحقيق هدفها وهو احتلال تونس مهما كلف الأمر، مما أدى بها إلى ارتكاب مخاطرة كادت أن تدخلها في حرب دموية مع إيطاليا وذلك من أجل التنافس على الحصول على امتيازات بتونس، بحيث بدأت الدولة الإيطالية تجهز قواتها العسكرية للخوض في معركة، لولا تراجع فرنسا ونهجها لأسلوب آخر وهو اقتراح الحماية على الباي حتى يكون لها مبررا تستند إليه، وموقفا دوليا مساندا ومدعما لها لحماية تونس من الأطماع الخارجية وخاصة إيطاليا، ولكن الأمر لم يتحقق وذلك بسبب رفض الباي الحماية كردّ فعل أولي على الأمر.

- كان الشعب التونسي شعبا مغتربا في وطنه أمام أصحاب القوة والسلطة التي وجدت طريقا ممهدا لاستثمارها، في حين نرى أن هؤلاء الأوربيين يتهربون من أداء واجباتهم وخاصة فيما يتعلق بأداء الضرائب واحتمائهم وراء قناصلهم، ومقابل هذا عندما قرر هؤلاء البايات النظر إلى الجانب الاقتصادي و ترقيته قاموا برفع قيمة الضريبة(**المجبى**)،التي أثقلت كاهل المواطن التونسي، أدى هذ الإجراء إلى زلق البلد إلى اضطرابات عنيفة وشديدة تمثلت في ثورة **بن غذاهم** وما نتج عنها زاد من سوء الحالة الاقتصادية في تونس، كما تزايد التنافس الأوروبي وغيره على الإيالة، وذلك باستظهار كل دولة من هذه الدول لمدى جبروتها العسكري بإرسال أساطيل وسفن حربية لميناء تونس، لتكون بذلك نقطة تحول عظيمة بالنسبة لفرنسا، ونقطة ضعف عميقة بالنسبة لتونس.
- وقعت تونس تحت الاحتلال الفرنسي بعد العديد من المؤامرات الدولية التي تجسدت في مؤتمر برلين **1878م**، حيث أدت طموحات فرنسا لاحتلالها إلى هيجان الدول الكبرى وعدم تركها لفرنسا وحدها، فظهر تنافس ديبلوماسي بين هذه الدول صعب على تونس الدفاع عن نفسها إذ واجهتها أزمات مالية واضطرابات داخلية.
- إن بناة الحماية اعتبروا هذا الشكل من المراقبة غير المباشرة أقل تكلفة وأكثر مصلحة ومنفعة من غيره من الأنظمة الاستعمارية باعتباره نظاما يعطي للحكومة الفرنسية جميع الصلاحيات لتنظيم شؤون البلاد التونسية، حيث كان أسلوب الحماية على تونس تجربة مغايرة ومختلفة عن التي اتبعتها فرنسا في الجزائر، والتي كلفتها خسائر باهضه في الأرواح والأموال، حيث حكمت البلاد حكما غير مباشر بواسطة السلطة التقليدية وذلك عن طريق إبقائها في مناصبها ومراقبتها عن قرب.
- لقد تم توقيع معاهدة **باردو** مع الباي "**محمد الصادق**" و هي بمثابة معاهدة استسلام لم يكن خياره الوحيد، ولكن يمكن اعتبارها ضعف شخصيته مثله في ذلك مثل الذي سبقه، لأن رجال إيالته اقترحوا عليه عدم الرضوخ و تعبئة أوساط الشعب التونسي على المقاومة، كما أن التوعد الفرنسي بعزله و تنصيب أخيه مكانه إن لم يقم بالتوقيع على هذه المعاهدة، ليس بالمبرر الكافي لوضع رقبته تحت سلطة الفرنسيين، ولكن نظرا لأنانيته وحبه لمكانته فضل العيش بمذلة مقابل إبقائه على كرسي الخلافة بدل أخيه، مما أدى به ودون تفكير في مصلحة البلاد و العباد إلى

الإمضاء على معاهدة **باردو** يوم **12**ماي **1881م**،وبها تم تسليم تونس إلى فرنسا دون أي عناء يذكر.

- قابل نظام الحماية الفرنسية على تونس مقاومة شعبية مسلحة، أعلن من خلالها الشعب التونسي رفضه القاطع للاستعمار الذي تجاوز الحدود يوم**12**افريل **1881م**، ولم يبخل رغم بدائية السلاح الذي كان في أيدي المجاهدين عن تقديم الآلاف من الشهداء.
- كان الموقف العثماني اتجاه الاحتلال الفرنسي لتونس في مناقشات ديبلوماسية وبرقيات احتجاج رسمية بين الباب العالي وفرنسا، إلا أن كل الاحتجاجات ومناشدة الدولة العثمانية للدول الكبرى لم تجد نفعا. والجدير بالذكر أن تركيا لم تعترف لفرنسا بالوضع الذي فرضته على تونس إثر معاهدة "**لوازن** "حينما تنازلت عن جميع حقوقها للشعب التونسي وحده.

وفي الأخير إنني أرجو-فعلا-أن تطرح إشكاليات تفتح مجال البحث في هذا الموضوع بشكل أعمق. أتمنى أني قد أفدت ولو بقليل، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

-والله أعلم –

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم (1): خريطة تونس الجغرافية قبل الاحتلال الفرنسي.[1]

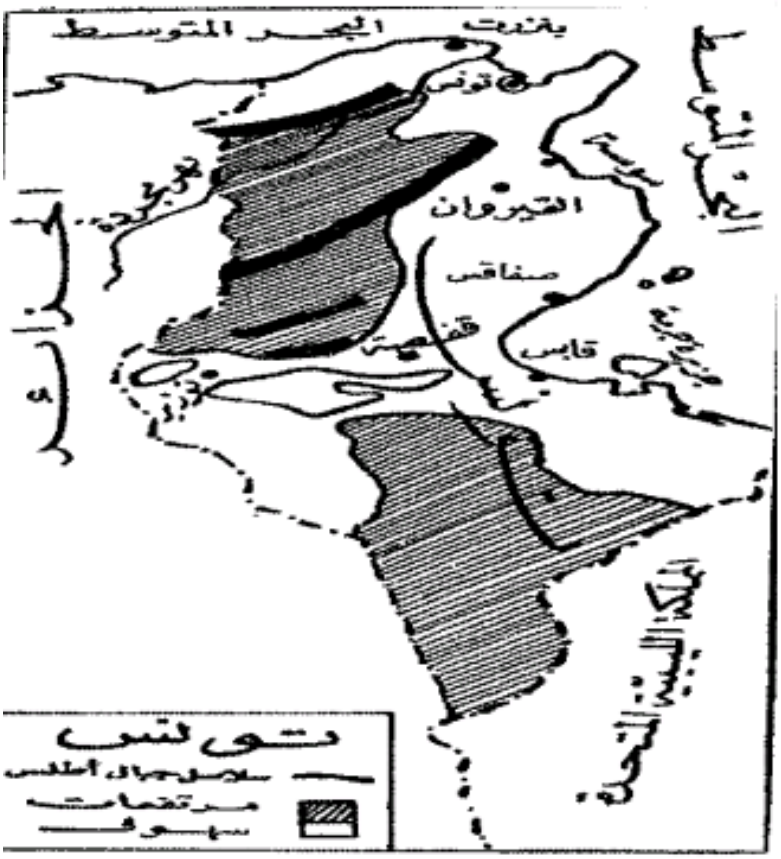

[1] حسن محمد جوهر: المرجع السابق، ص6.

الملحق رقم (2) : أنواع الفرق العسكرية وتوزيعها في عهد "أحمد باي".[1]

I – الفرق النظامية المحدثة

نوع الفرقة وعدد أفرادها	أرقام الفرق	مكان إقامة الفرقة	لون علم الفرقة
1 – المشاة مدنهم : 18900 جندي	الالاي الاول الالاي الثاني الالاي الثالث الالاي الرابع الالاي الخامس الالاي السادس الالاي السابع	تونس سوسة المنستير القيروان مراقبة الباي " هار الملح	أحمر فاقع
2 – المدفعية تضم : 5800 جندي	الالاي الاول " الثاني " الثالث " الرابع	تونس وباردو وحلق الوادي موزعة على أبراج البلاد	أحمر
3 – خيالة تضم : 1000	لواء واحد	منوبة	بنفسجي

[1] عبد الجليل التميمي: **الجيش التونسي في عهد محمد صادق باي**، المرجع السابق، ص52.

الملحق رقم (3): تونس ما بين (1830-1881م).[1]

1837 ـ 1830	ـ تدارك الأزمة السياسية (نسبيا) في عهد وزارة المملوك شاكير صاحب الطابع (1829ـ1837) . ـ بداية سياسة الاصلاحات		• توغل الفرنسيين داخل اليا الجزائرية : احتلال قسنط (1837) ووصول النفوذ الفرنـ الى تخوم البلاد التونسية . • ظهور الامير عبد القادر قـ المقاطعة الغربية الجزائرية . • احتلال تركيا للبلاد الطرابلـ (1835) وتهديدها لاستقلا البايات بتونس .	1855 ـ 1859	ـ عهد محمد باي وثورة مصطفى خزندار ـ قانون « الامانة » أي العجي (1856) ـ 1857 : عهد الامان ـ العدول عن معظم الاصلاحات .	ـ الثوار : الاصلاحي (خير الدين ـ ابن أبي ضياف ـ الجوال بلشيد ...) والتقليدي : « الرحيبي » (الباي محمد ، بيرم ...)	ـ ضغط الدول الأوروبية على الأمم الأخرى لقبول سياسة الاصلاحات أي الانفتاح لتأثيرات المادية والفكرية الأوروبية : • خط همايون ، بتركيا (1856) • « عهد الامان » بتونس (1857)
1837 ـ 1855	عهد احمد باي : ـ وزارة مصطفى خزندار (ابتداء من 1837) ـ سياسة « الاصلاحات » الحربية والادارية والاقتصادية والمكاسبها المالية الوخيمة . ـ الاصلاحات الحضارية : تحجير الرق (1846) ـ مدرسة باردو الحربية (1840) ـ تنظيم التعليم بجامع الزيتونة (1842) ـ زيارة احمد باي الى فرنسا (1846) ـ الازمة المالية بتونس (بعد 1850)	ـ ازدياد التدخل التجاري والمالي الأوربي وتأثيراته السلبية : صعوبات الدولة المالية ـ افلاس طبقة الاعيان الاعشاء و القياد الزراعة « الكبار (آل الخليل في 1830 1835 وآل ابن عياد في 1852) ـ السياسة الجبائية المهلكة لقوى البلاد والثورات الداخلية ـ وباء الكوليرا والمكبة الديمغرافية (1849 ـ 1850)	• الخطر الفرنسي على الحدو الغربية التونسية والخطر العثماني من الناحية الثانية (1835 ـ 1837) • التنظيمات الجبرية بتركيا (1839 و1856) ـ حكم نابليون الثالث بفرنسا (1851)	1859 ـ 1864	ـ تيار محمد الصادق باي الحكم وقاء مصطفى خزندار وزيرا أكبر . ـ استئناف سياسة « الاصلاحات » وتنائجها السلبية • الدستور التونسي (1861) ، « الرائد الرسمي » ، « المشاريع العصرية المهلكة لثالية الدولة : انشاء الأسلحة الأوروبية ، مشروع جلب ماء زغوان الى تونس (وقد منح لشركة فرنسية) ، انفراض بين تونس والجزائر • « الثورة الى القروض الخارجية (إيطالي) ومشكلة تسديد فائض الدين (1863) . • الاحتجاجات التي إثارتها الدول الأوروبية من باي تونس : اقتصادية وسياسية . ـ الصعوبات المالية المفضية الى سياسة جبائية مجحفة	ـ نتائج التدخل الرأسمالي الأوروبي الوخيمة على المجتمع التونسي : • استدانة متتابي الحبوب والزيوت . • إفلاس البيوجوازية المحلية (الا الفئة المنادية بمصالح الاوربين والمحمية بهم) . ـ نتائج « الاصلاحات » السلبية : • عدم تماشيها مع الأوضاع الاجتماعية الداخلية • تكاثرها الباعثة المجحفة بمالية الدولة وبالرعية . • معارضة معظم أفواد الشعب لها وثورة يعال الاصلاح .	ـ تحيل الرأسمالية الاوروبية من تجارية الى مالية : ـ ضغط الدول الاوروبية على الدول الأخرى مزايد : في الشرق (تركيا مصر ...) وفي شمال افريقيا (فتح المغرب الاقصى الى التجارة ثم التأثيرات الاوربية) . ـ مشروع « المملكة العربية » (نظام حماية) بالجزائر وطلبه .

1869 ـ 1864	ـ استفحال الأزمة بتونس : • ثورة علي بن غذاهم (1864) • سياسة القمع المحرّرة للبلاد والقاطعة لآخر صلة بين الدولة والرعايا . • العدول عن سياسة « الاصلاحات » • ازمة 1867 وانعكاساتها المالية والسياسية • العجز المالي وتنصيب لجنة وصاية دولية (« الكونتيسيون المالي ») .	ـ هزيمة كتلة المصلحين . ـ تدهور وضع الاعيان الأهالي وتفكك المجتمع ـ إزمة 1867 (« بوبرّاك وبوشلاّل ») وقضاؤها على آخر قوى البلاد الديمغرافية والاقتصادية .	ـ الرأسمالية الأوروبية وسياستها التوسعية في العالم . تحقيق الوحدة الألمانية والايطالية (بصدد الانجاز) . • الازمة الاقتصادية عامة في كامل بلدان شمال افريقيا . • فتح قناة السويس (1859 ـ 1869) . وتسرب الرأسمالية الأوروبية الى مصر.
1877 ـ 1870	ـ الاحتلال الفعلي بتونس : • ابتعاد « الخطر » الفرنسي بالدلاع الازمة بفرنسا نفسها بعد 1870) . • سقوط الوزير مصطفى خزندار وتولية خير الدين وزيرا أكبر (1873) ـ وزارة خير الدين وسياسته الاصلاحية في الميدان الاداري والمالي والاقتصادي والثقافي : (تاسيس الصادقية 1875) ـ سقوط خير الدين (1877)	ـ انتعاش الاقتصاد التونسي (بصفة نسبية) ـ انتهاء احمد بن ابي ضياف من تاليفه **اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان (1871) .**	ـ الحرب الفرنسية ـ « البروسية » وانهزام فرنسا (1870) . ـ ازمة « الكومونة » والصعوبات السياسية بفرنسا (1871ـ1875) ـ تم انجاز الوحدة الألمانية والوحدة الايطالية (1870 ـ 1871) . • ظهور المطامع الايطالية بتونس ـ ثورة المقراني بالجزائر وقمعها : انتصار حزب المعمرين . ـ السياسة الاستعمارية الرامية الى تدعيم العلاقات مع « مقاطعاتها المستقلة » مثل تونس .

1881 ـ 1878	ـ استفحال الازمة التونسية من جديد في عهد وزارة مصطفى بن اسماعيل ـ التدخل الفرنسي والايطالي بتونس يحتد : • الخطوط الحديدية • اشتراء الاراضي (هنشير النفيضة)	ـ اشتداد الازمة الاقتصادية والاجتماعية تحت تأثير العوامل الداخلية والخارجية . ـ احتداد الازمة السياسية وتفاقم الغضب ضد حكم محمد الصادق باي ومصطفى بن اسماعيل اللامبالي .	ـ مؤتمر برلين (1878) وبداية سياسة الامبريالية الاستعمارية . ـ مؤازرة الدول الكبرى الاوروبية لسياسة فرنسا الاستعمارية بتونس ومناهضة ايطاليا لها .

[1] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص 169، ص170.

الملحق رقم (4): موكب توقيع معاهدة الباردو 12ماي 1881م.[1]

[1] **أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر**، مرجع سابق، ص16.

الملحق رقم (5): نزول قوات الاحتلال الفرنسية بتونس(1881-1883).[1]

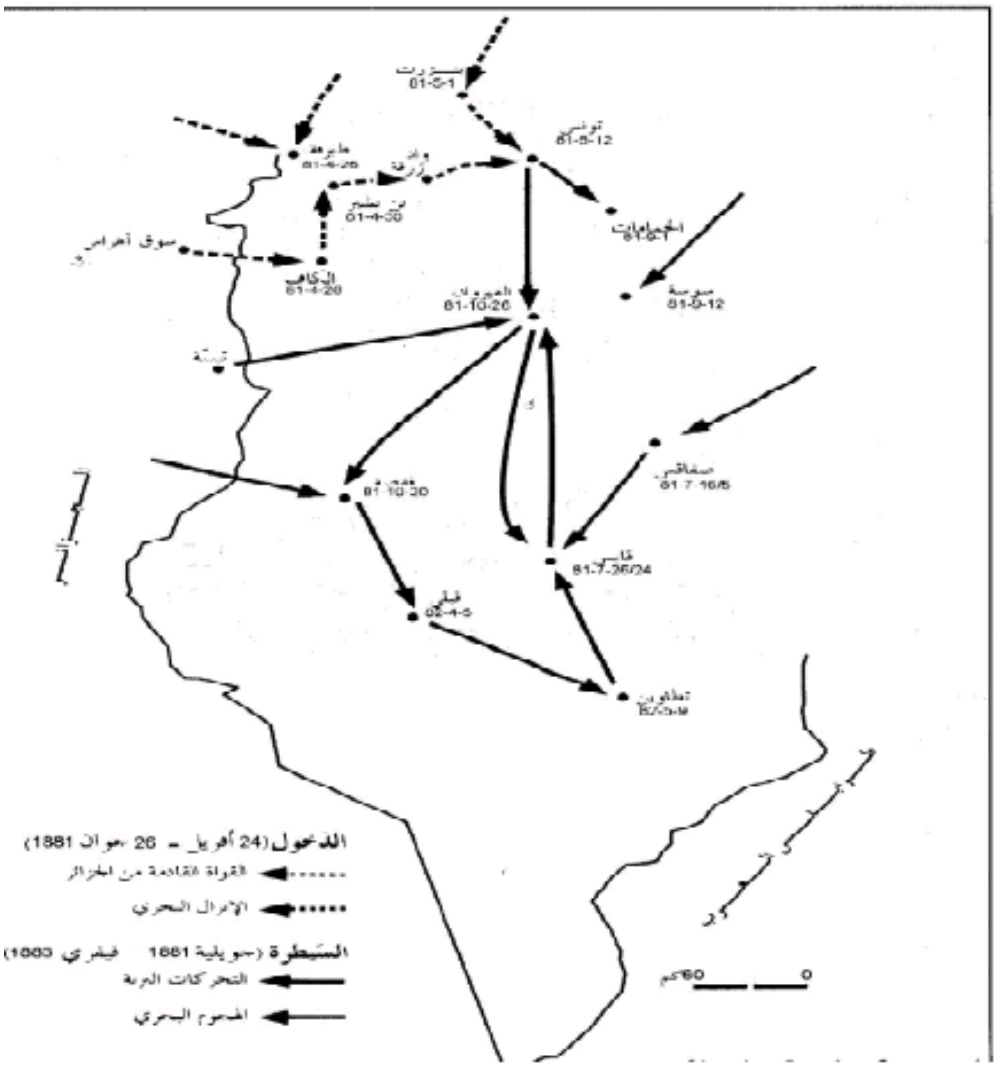

[1] خليفة الشاطر وآخرون: **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**،ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005،ص19.

الملحق رقم (6): محمد الصادق باي بالتاج الحسيني. [1]

[1] محمد بن خوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، تق: حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986، ص87.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

أولا– المصادر العربية والمعربة

- ابن ابي الضياف أحمد: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج4، بيت الحكمة، تونس.
- بن الخوجة محمد: **صفحات من تاريخ تونس**، تح حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986م.
- التونسي خير الدين: **أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تق محمد الحداد، دار الكتب لمصري، القاهرة ،2012م.
- التونسي محمد بيرم: **صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار**، ط1، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان ،1835م.

ثانيا – المراجع:

1– المراجع باللغة العربية

- أحمد أمين: **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965.
- باركنسن روجر: **موسوعة الحرب الحديثة**، تر: سمير عبد الحليم الحلبي، ج1، دار المأمون، بغداد، العراق، 1990م.
- بوعزيز يحي: **دور تونس في دعم حركات التحرر في الجزائر وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1830**، مجلة الثقافة، ع12،70جويلية–أوت 1982.
- تشانجي عبد الرحمان: **المسألة التونسية (1881–1913م)**، تر عبد الجليل التميمي، تونس،1973.
- التميمي عبد الجليل: **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس – الجزائر – ليبيا(1816–1871م)**، الدار التونسية للنشر،1972.
- الثعالبي عبد العزيز: **تونس الشهيدة**، تقديم: سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت،1960.

- جوهر حسن محمد: تونس، شعوب العالم دار المعارف، مصر 1981.
- الحبيب ثامر: **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.
- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.ت.
- حقي احسان: **تونس العربية**، دار الثقافة، بيروت، لبنان ،1970.
- الخضيري بد الجبار عبود: **أوروبا في القرن التاسع عشر**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،2016/04/20.
- خليفة الشاطر وآخرون: **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس،2005.
- داهش محمد علي: **دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي**، اتحاد الكتاب العربي، دمشق ،2004.
- درمونة يونس: **تونس بين الاتجاهات**، دط، دار الكتاب العربي، مصر ،1953.
- زاهر رياض: **استعمار افريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 1965.
- السنوسي محمد: **الرحلة الحجازية**، ج1، تح على الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع ،1976.
- الشريف سلامة: **ثورة بن غذاهم**، وثائق تونسية، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت.
- الشريف محمد الهادي: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، سراس للنشر، تونس،1993.
- شمس نجم الدين زين العابدين: **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المسيرة، الأردن، عمان ، 2011.
- الشيباني بن بلغيث: **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق (1856–1882)**، تق: عبد الجليل التميمي، دط، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، صفاقس، تونس،
- الشيخ رأفت: **تاريخ العرب المعاصر**، دط، دار الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1996.
- طاهر عبد الله: **الحركة الوطنية رؤية شعبية قومية جديدة(1830–1986)**، ط2، دار المعارف للنشر والتوزيع، تونس.

- الطويلي محمد: **دراسات عن الحركة الإصلاحية بتونس**، دط، سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992.
- عصمت راشد زينب: **تاريخ أوروبا الحديث**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، د.ت.
- عطا الله الجمل شوقي: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة1977.
- العقاد صلاح: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، ط6مزيدة ومنقحة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،1993.
- علي سلطان: **تاريخ العرب الحديث(1516-1918م)**، منشورات مكتبة طرابلس العالمية، طرابلس، د.ت.
- علي عامر محمود، خير فارس محمد: **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبية)**، منشورات جامعة دمشق، ج2، سوريا 2000/1999.
- الغالي غربي واخرون: **العدوان الفرنسي على الجزائر – الخلفيات والابعاد–**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، دار هومة، الجزائر،2007.
- غرايبة عبد الكريم محمود: **تاريخ العرب الحديث**، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت ،1984م.
- القصاب احمد: **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)**، تع حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس.
- محجوبي علي: **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، تع عمر بن ضو، حليمة قرقوري، ط1، سراس للنشر، تونس، 1986.
- مقلاتي عبد الله: **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت.
- منقذ بن محمود السقار: **الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية**، مكة المكرمة، 1427هـ، ص6.
- نمير طه ياسين: **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر، الأردن، عمان،2010.
- هاشم احمد نجيب، محمد مأمون نجا: **أطلس تاريخ القرن التاسع عشر**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1938.

- يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث الازاريطة الاسكندرية، مصر.

2- المراجع باللغة الأجنبية

- Cambon Henri: **Histoire de la Régence de Tonis**، paris, 1948.
- Rounard de card **: la Turquie et le protectorat français en tunisice, 1881-1913**, paris, 1916.
- Rymond Andre : **les liberaur anglais et la question ne 1880-1881,** les cahiers de tunisice, 1955.

ثالثا – المجلات والدوريات:

- حزيم حسين زغير: **تطور الفكر الديمقراطي في تاريخ فرنسا الحديث**، مجلة الأستاذ، قسم التاريخ، كلية التربية –الجامعة المستنصرية، ع205، مج1، 2013.
- الخفاجي جمعة عليويفرحان، وسام هادي عكار عظيم، **السياسة الفرنسية حيال تونس (1881–1914)**، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، ع214، مج1،2015.
- سلمان محمد عصفور: **الحماية الفرنسية على تونس عام1881والموقف العثماني والأوروبي منها**، كلية التربية للعلوم الإنسانية /مجلة ديالى /العدد56.
- شاوش حباسي: **فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد الفعل التونسي (1881–1883م)**، مجلة دراسات التاريخية، ع8، الجزائر،

رابعا – الرسائل الجامعية:

- الامام رشاد: **سياسة حمودة باشا في تونس(1782–1814م)**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة، دائرة التاريخ الجامعة الامريكية، بيروت، د.ت.
- بعيو غانية: **التنظيمات العثمانية واثارها على الولايات العربية الشام والعراق أنموذجا(1839–1876م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،2008-2009.

- بوصري أسماء، ضاوية حفصاوي: **المقاومة الشعبية المسلحة في تونس ونتائجها (1881-1907م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ،2015-2016.
- ساسي جمال الدين: **العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الاحتلال**، مذكرة الماستر، إشراف مغنية غرداين، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2016/2015.
- صحراوي نور الدين: النفوذ الأوروبي (الفرنسي-الإنجليزي –الإيطالي) في تونس(1857-1881م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2 ،2012-2013.
- غريزي جميلة، لامية بن عمر: **قضايا تونس وتضامن الجزائريين معها من خلال جريدة المنار الجزائرية(1951-1954م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة 2016-2017.
- قسمية نور الهدى: **الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولية (1881-1883م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر أكاديمي، إشراف: مصطفى عبيد، شعبة تاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ،2017-2018م.

خامسا-الموسوعات والمعاجم:

- الطالبي محمد: **دائرة المعارف التونسية، تاريخ إفريقيا**، عدد خاص، بيت الحكمة،تونس،1988.
- غربال محمد شفيق: **الموسوعة العربية الميسرة**، م2،دار الشعب ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، القاهرة ،1956.
- مهني مراد: **الثقافة السياسية وتطور المؤسسة البرلمانية قراءة سوسيوتاريخية في التجربة التونسية (1861-2011م)**، دفاتر السياسة والقانون، ع12، جانفي 2015.
- نبهان يحي محمد: **معجم مصطلحات التاريخ**، ط1، دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن.

ملخص

العلاقات التونسية الفرنسية (1830-1881م)

ملخص:

بالنسبة للعلاقات السياسية بين تونس و فرنسا كان التمثيل الديبلوماسي هو المعيار الذي من خلاله تظهر متانة العلاقة بين الطرفين، فالتمثيل القنصلي التونسي كان موجودا في أهم المدن الفرنسية مثل: "باريس" سنة **1846**م، و"طولون" سنة **1847**م، فأدى بذلك إلى علاقة خاصة تربط"باردو" بباريس، ربما لم ترق إليها أي دولة أخرى سواء غربية أم عربية، وهذا ما يفسره قول **أحمد باي** في إحدى المرات لقناصله الفرنسيين المتواجدين بتونس: "**أنا داع لفرنسا بالخير وسائرما تستحقه من بلادي و كل ما هو موجود فهو لها**"،أما بالنسبة للعلاقات التونسية الفرنسية في المجال الاقتصادي فهي تعود لزمن بعيد حيث نتاج لعلاقات فرنسا بالشرق الإسلامي، وذلك أيام"**فرنسوا الأول**"والسلطان "**سليمان القانوني**" (**1520–1566م**)، والتي مكنت فرنسا من الحصول على امتيازات اقتصادية في بلاد الشرق الإسلامي عموما، و في تونس بوجه خاص، و ذلك عن طريق اتفاقيات ظلت تتجدد من حين لآخر، أما في القرن التاسع عشر فقد وقع تجديد لتلك الامتيازات الممنوحة لفرنسا مع إضافة شروط جديدة جاءت أغلبها لصالح فرنسا، وبخصوص العلاقات العسكرية فقد أنشأت مدرسة عسكرية لتكوين الضباط المعروفة باسم مدرسة 'باردو' العسكرية التي تم تأسيسها 1840م، كما يكمن تأسيسها بأنها مظهر لمحاكاة مثيلاتها في كل من الدولة العثمانية ومصر، علما أن هذه المدرسة بدأت بحوالي خمسين جندي من أبناء البلاد يتعلمون فنون الحرب نظريا وتطبيقيا، إضافة إلى علوم الدين واللغات كالعربية والفرنسية والإيطالية. فقد تداول على التدريس العديد من الضباط الأوروبيين من الإيطاليين وغيرهم، غير أن النصيب الأكبر كان للفرنسيين، وأشهرهم الضابط 'كمبون، إلى جانب بعض التونسيين وأشهرهم في العلوم العربية والدينية الشيخ الشاعر محمود قابادو.

French-Tunisian relations(1881-1830)

Abstract

France has sought to develop ties with the Maghreb Tunisian it breaching public walaialh, particularly in the framework of serving

economic, political and military interests, and as a result, many established trade treaties, in particular, threw for concessions in order to secure their interests, and make them more powerful. Surpass the rest of the European countries, Tunisia had formed the focus of many other colonial powers, but colonial France's foreign policy allowed her to eventually occupy unique Tunisia under protection, and that was For political relations between Tunisia and France had diplomatic representation is the standard by which demonstrates the durability of the relationship between the parties, the consular representation was in the Tunisian French cities like: ' Paris ' year of 1846, and ' Toulon ' year 1847 m, to the special relationship linking ' Bardo ' In Paris, may not live up to any other whether Arab or Western, this is explained by saying bye Ahmed on one occasion of French consuls in Tunisia: ' I need for France and the rest of the country it is located is hers,.the As for the French-Tunisian relations in the economic field is due to a long time ago is a product of France's relations with the Islamic East, days ' first ' and ' Francois Sultan Suleiman the magnificent (1520-1566 m), which enabled France to obtain economic privileges in the Muslim East countries generally, and In Tunisia, in particular, through agreements have been renewed from time to time, either in the nineteenth century there had been a renewal of the privileges granted to France with the addition of new requirements came mostly in favor of France, year 1881 Affi field established a military school for officers ' configuration known as the school ' Pardo ' military founded 1840 m, as it is established that they look to emulate their counterparts in both the Ottoman Empire and Egypt, note that this school started about fifty soldiers from the country are learning the art of war in theory and Applied, adding to the science of religion and languages such as Arabic, French and Italian. It has several officers teaching trading Europeans of Italians and others, EAE Frenchmen, most notably officer ' Cambone said, besides some Tunisians ofwhich in Arabic and religious sciences of Sheikh poet ' Mahmoud kabadou

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	/
الشكر والعرفان	/
صفحة المختصرات	/
مقدمة	1
الفصل الأول: الأوضاع العامة في تونس وفرنسا من 1830م إلى1881م	10
المبحث الأول: الأوضاع العامة في تونس	10
المبحث الثاني: الأوضاع العامة في فرنسا	20
الفصل الثاني: العلاقات التونسية الفرنسية من 1830م إلى 1881م	26
المبحث الأول: العلاقات السياسية	26
المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية	28
المبحث الثالث: العلاقات العسكرية	31
الفصل الثالث: الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل المحلية والدولية	34
المبحث الأول: الحماية الفرنسية على تونس وتوقيع معاهدة الباردو **1881م**	34
اولا: أسباب الحماية الفرنسية على تونس	34
ثانيا: احتلال لتونس وإعلان الحماية الفرنسية عليها	37
ثالثا: توقيع معاهدة الباردو **1881م**	38
المبحث الثاني: ردود الفعل الأولية المحلية (الداخلية)	40
اولا: المقاومة في الجنوب	40
ثانيا: المقاومة في الوسط والساحل	43
ثالثا: المقاومة في الشمال	45

المبحث الثالث: ردود الفعل الدولية (الخارجية)	48
أولا–رد فعل الدولة العثمانية	48
ثانيا–رد فعل دول المغرب العربي (الجزائر طرابلس الغرب)	52
الجزائر	52
طرابلس الغرب	53
ثالثا– رد فعل الدول الأوروبية	54
خاتمة	57
الملاحق	62
قائمة المصادر و المراجع	69
الملخص	75
فهرس المحتويات	78